أثر النصيحة

في تقرير العقيدة الإلهية

اعداد

د/ نادرة حسن عبد الجواد محمود
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالمنصورة

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

أثر النصيحة في تقرير العقيدة الالهية

نادرة حسن عبد الجواد محمود

قسم العقيدة والفلسفة ، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهر، المنصورة،جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني:NaderMahmoud1832.el@azhar.edu.eg

الملخص :

النصيحة هي ارادة الخير للغير، وهي الدين في عقائده وعباداته ومعاملاته وقيمه وأخلاقه تطبيقا للحديث الشريف "الدين النصيحة".

ثم ان موضوع النصيحة تقرر بالأثر الشريف عند قوله "الدين النصيحة" قلنا لمن يا رسول الله؟ قال "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم" كما أن المفاهيم التي تدور بعنوان البحث دالة كلها علي أن للنصيحة أثرا في تقرير العقيدة الإلهية قيامها أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومن ثم فإن هذه الجوانب التي تتمثل فيها العقيدة تدور حولها النصيحة.

ثم إن مصادر النصيحة هي القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة، ثم اجتهادات العلماء العاملين وهو ما يعرف بالإجماع.

وتدور ضوابط النصيحة في أمور الأول ما يتعلق بالناصح من سلامة القوي وسلامة العقيدة والعلم اليقيني، والثاني ما يتعلق بالمنصوح من سلامة القوي وحسن السمع والطاعة إلي غير ذلك.

ثم تأتي شروط النصيحة والمترتب عليها من حسن القصد وصحة العقيدة والابتعاد عن التجريح والخروج عن اطلاق أحكام التفسيق والتبديع، ثم اقامة الدليل الصحيح والتزام الحكمة بجانب اختيار الوقت والأسلوب المناسب مع تبادل النصيحة، فذلك خيرا وأوفي وأتم وأكمل حيث لا يكون إلا المسلم الحق ولا يقوم به إلا صاحب العقيدة السليمة والله سبحانه ولي التوفيق.

الكلمات المفتاحية: النصيحة ـ العقيدة ـ كمال الدين ـ سلامة المقصد ـ حسن الاختيار

The Effect of Advice on Asserting the Divine Beliefs

NADRA HASSAN ABDELGAWAD MAHMOUD

Department of Theology and Philosophy, Faculty of Islamic & Arabic Studies in Mansoura – Al Azhar University, Egypt

Email: NaderMahmoud1832.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The word advice means to wish the good for others; it is the essence of religion, its beliefs, worships, dealings, values and morals, in compliance with the Hadith “Religion is sincerity (An-Nasihah).”

The subject of advice was asserted by Hadith (of the Prophet) when he said: “Religion is sincerity”, they said: 'To whom, O Messenger of Allah? He said: 'To Allah, to His Book, to His Messenger, to the imams of the Muslims and to their common folk'". Also, the concepts that revolve around the title of the research are all indicative that advice has an impact on asserting the divine belief that has faith in God, His angels, His Revealed Books, His messengers, the Last Day, and Destiny (Qadar), whether it is good or bad. Hence, advice revolves around these aspects of the Credo.

Moreover, the sources of advice are the Holy Qur’an, the authentic Sunnah of the Prophet, and then the opinions of the well-versed scholars which is recognized by consensus.

The advice disciplines are based on particular issues; firstly, it is related to the advisor, who should have sanity, sound beliefs and credible knowledge; secondly, it is related to the advisee who shall have sanity, good listening and obedience, etc.

Afterwards, we deal with the conditions of advice; which should be of good faith, based on sound beliefs, away from offending others and not judging others with impiety or inventing heresy (bid'ah). Then substantiating the claim and adhering to wisdom, along with choosing the appropriate time and manner of advice, besides sharing; that would be better and more fulfilling for the true Muslim; and only Muslim with sound beliefs would be able to do so. Allah, Glory to Him, Almighty, is the one sought for help and Success.

Key words: Advice – Belief – Perfection of Religion - Good Faith – Proper Selection

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل النصيحة من قواعد دين المسلمين، وبين جل شأنه أن القيام بها من الواجبات علي المكلفين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل النصيحة ثابتة في الأصلين القرآن الكريم، والسنة المطهرة بما يحفظ مقاصد الدين في الخلق أجمعين.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله خير الناصحين، هدي الناس للحق المبين، وعرفهم بالله أحكم الحاكمين، كما نصح لهم فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم حتى يسعدوا بلقاء الله رب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلي آله وأصحابه وأتباعه والعلماء العاملين، وارض اللهم عن أهل الخير والنصيحة، واحشرنا وإياهم في زمرة الناصحين الآمنين.

أما بعد، ، ،

فإن النصيحة الإلهية هي: إرادة الخير للمنصوح، والمحافظة علي ما يرضيه، جل شأنه، بما يحقق الغايات المشروعة علي أفضل الوجوه وأتمها، ولذلك كانت النصيحة من مقومات المودة ولوازم المحبة، وهي درع حصين بالنسبة للفرد المؤمن من الوقوع فيما لا يعلم أو ممارسة ما لا يحقق له الخير، كما بها يتحقق الأمن، ويتوفر الأمان للخلق أجمعين، ومن ثم كانت دَيناً في رقاب القادرين عليها يسألون عنها يوم لقاء الله، فيقال لهم : علمتم ونصحتم أم كتمتم.

والمتأمل في النصوص الشرعية (القرآن والسنة) وما سجله مفكرو المسلمين يجد كلمة النصيحة بارزة بذاتها كأنها تطالب العقلاء الانتباه إلي أدائها الوظيفي في تقرير العقيدة الإلهية، وارتباطها بمصالح العباد، دون أن يكون الناصح مُغرر من ينصح، ولا مُخادعاً له؛ لأن ذلك ليس من النصيحة الأمينة.

يدل عليه أن إبليس غرر بآدم وحواء، وأقسم لهما أنه ناصح، وظل بهما

حتى أوقعهما فيما لا يتعلق بأمر النصيحة المشروعة قال تعالي: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[١].

ولما كان دين الإسلام هو المحافظ علي مقاصد الحق من الخلق فقد باتت النصيحة في كثير من النصوص الدينية تمثل الدين في عمومه، يدل عليه ظاهر قوله ﷺ: **"الدين النصيحة"** [٢].

بيد أن النصيحة عمل لابد فيه من عناصر أساسية هي: الناصح، والمنصوح، وموضوع النصيحة، ثم الوسيلة، وأخيراً الغاية، وكل منها لابد فيه من ضوابط يتميز بها عن غيره، وشروط يتمثل فيها، ومصدر يعول عليه بشأنها.

ومن ثم كان الحديث عن اثر النصيحة في تقرير العقيدة الالهية امرا مشروعا، فإذا صحت العقيدة تحقق القيام بالتكاليف العملية. وما يرتبط بالقيم الأخلاقية، وذلك كله مما يكشف عن قيمة النصيحة، وأثرها في الحياة العامة متى أمكن توظيفها علي ناحية مشروعة، وتم أداؤها من ناصح واع[٣] وتلقينها من منصوح يدرك الأبعاد، ويشعر أنه بحاجة إلي الكمال المنشود الذي شرعه الله رب العالمين.

غير خافٍ أن الحديث عن أثر النصيحة في تقرير العقيدة الالهية يحتاج تناولها من ناحية المفهوم، ومن ناحية الضوابط، والشرائط، بحيث يكون الهدف العلمي قد تحقق، والأداء الموضوعي أمكن الوقوف عليه، ثم يأتي الدور التوظيفي بما يحقق المصالح المشروعة طبقاً لقاعدة أصولية عمادها (أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد، في العاجل والآجل فحيثما كانت المصلحة

١- سورة الأعراف الآية (٢١).

٢- الإمام مسلم، صحيح مسلم، الجزء الأول، باب(بيان أن الدين النصيحة) ص٧٤ حديث (٥٥)

٣- المقصود بالناصح الواعي، الفرد العاقل الرشيد، العالم بما يجب عليه أداؤه من غير التفاف حول المبادئ العامة والقواعد الأساسية، لأن هذا الموضوع هو شأن المرسلين ومن تبعهم.

فثم شرع الله)[1].

ومن ثم فإن هذا البحث يجيئ في مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: تحديد المفاهيم

الفصل الثاني: مصادر النصيحة وضوابطها.

الفصل الثالث: شروط النصيحة وآثارها.

ثم الخاتمة: وتتضمن: أهم النتائج، وأبرز التوصيات

وبعدها قائمة المصادر، والفهرس العام

١- العلامة الشيخ: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج٢، ص٧، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، طبعة مكتبة الأسرة بالقاهرة، وراجع له أيضاً الاعتصام ج١ ص٤٠ تحقيق الشيخ عبد الله دراز، مكتبة الأسرة بالقاهرة.

الفصل الأول
تحديد المفاهيم

اللفظ الأول: أثــر

١- في القرآن الكريم:

وردت مادة الكلمة "أثار" في القرآن الكريم حوالى احدى وعشرين مرة، وقد تكفل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ببيان مواطنها من السور والآيات القرآنية[١]، ومنها قوله تعالى: علي لسان السامري﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾[٢]، وقوله تعالي: في شأن أهل الإيمان﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[٣]، وقوله تعالي : ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا**﴾[٤]، إلى غير ذلك من وجوه الورود في القرآن الكريم.

من المؤكد أن الأثر في القرآن الكريم يتناول المادي والمعنوي، كما يتناول الحقيقي والمجازي طبقا لبلاغة القرآن الكريم، ووجوه إعجازه.

٢- في لغة العرب:

وردت مادة (أ ث ر) في لغة العرب علي العديد من المعاني أبرزها: التتبع، التفضيل[٥]، ثم الاختبار، بجانب التخصيص[٦]، ثم البصمة والعلامة الظاهرة، وبقية الشيء، والخبر المروى، والمنزلة[٧]، إلي غير ذلك من المعاني الواردة في اللغة، وكل يأخذ منها المعني الذى يحتاج إليه.

وحيث إن اللغة حمالة أوجه، وكل لفظ يأتي معه جمع من المعاني

١- راجع أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشيته المصحف الشريف، ص١٤-١٥، ط دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢- سورة طه، الآية ٩٦

٣- سورة الفتح، الآية ٢٩

٤- سورة الحديد، الآية ٢٧

٥- راجع لابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول ص٨٧

٦- راجع لابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٧٤.

٧- راجع المعجم الوجيز، باب الهمزة، ص٥-٦، ط وزارة التربية والتعليم، ١٤٣٤هـ٢٠٠٣م.

علي أساس أن الألفاظ أثواب المعاني على ما يقرره المناطقة، وكل لفظ يحمل مالا يحد من المعاني علي حسب ما يقرره البلاغيون، فقد اتجه كل علم إلي التعامل مع لفظ الأثر بما يناسب هذا العلم أو ذاك، وهو ما يعرف بالمعنى الاصطلاحي.

٣- في الاصطلاح:

عني المتكلمون بالأثر في باب الدلالة، وربطوا بينه وبين المؤثر، علي أساس أن الأثر هو المترتب على وجود المؤثر وفعله، وعرف هذا لديهم باسم دلالة الأثر على المؤثر، واستخدموا المأثور من عبارات العربي ذي الفطرة السليمة حيث يقول: ان البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل علي المسير، واستدلوا عليه بوجوه كثيرة في دلائل إثبات الصانع، ثم استخدموا دلالة الأثر علي المؤثر في كثير من مباحثهم العقدية.

بل إن الكثيرين منهم اتخذوا من قوله تعالي: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[١]وقوله تعالى: **﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾**[٢] وفيه دلالة علي إثبات الصفات العليا والأسماء الحسنى، كما يشمل العقيدة والشريعة، والأخلاق

يقول العلامة السيد الشريف الجرجاني ت٨١٦ هـ "المشهور أن المتكلمين استدلوا بأحوال خصوصيات الآثار علي وجود الله فقالوا إن الأجسام محدثة، فكذا الأعراض، فلابد لها من صانع، ولا يكون حادثا"[٣]، ومن ثم يكون للنصيحة أثر في تقرير العقيدة الإيمانية، والدفاع عنها.

اللفظ الثاني: مفهوم النصيحة:

يدور مفهوم النصيحة حول إرادة الخير، علي أساس أن الناصح، والمتلقي كليهما من أفراد المجتمع، وما يجري في المجتمع من خير ينعم به أفراده.

والنصيحة الأمينة قد تكون هي الوسيلة لتحقيق تلك السعادة في الأفراد

١- سورة فصلت، الآية(٥٤)

٢- سورة الروم، الآية (٥٠)

٣- السيد الشريف الجرجاني، شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس الإلهيات ص٧-٨، تحقيق د أحمد المهدي .

والمجتمع علي قدرٍ سواء، يدل عليه أنه ما من أمر تعلق بأدائها إلا جاءت نصوص الدين آمرةً به حاثةُ عليه.

ومن المؤكد أن لفظ النصيحة من الألفاظ التي تدور حولها المعاني العديدة، بعضها يجئ علي جانب بذاته من التنبيه والتوجيه، وبعضها يجئ علي جانب آخر قد يرتبط بالترغيب أو الترهيب، وسأتناول هنا ما يتعلق باللغة والاصطلاح.

١- في القرآن الكريم:

وردت مادة الكلمة(ن. ص. ح) في القرآن الكريم حوالي أربع عشرة مرة[١]، وتكررت صورها، منها ما جاء بصيغة الماضي علي لسان نبي الله صالح عليه السلام في قوله تعالي: **﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾**[٢].

ومعيار النصيحة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول السيد الشريف: "المراد بالمعروف الواجب، وبالمنكر الحرام"[٣].

يقول الشيخ الطبري: "أخبر الله جل ثناؤه ان نبي الله صالح قال لقومه ثمود لقد أبلغتكم رسالة ربي وأدّيت إليكم ما أمرني بأدائه ربّي، من أمره ونهيه ونصحت لكم، في أدائي رسالة الله إليكم، وتحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان ولكن لا تحبون الناصحين، لكم في الله، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم، الصادِّين لكم عن شهوات أنفسكم"[٤].

وكذلك جاءت علي صورة الفعل المضارع المفيد للدوام والاستمرار والاختصاص للدلالة علي أن الناصح أراد من نصحه ذات خير لنفس الناصح، وفي ذلك دلالة علي إخلاص النصيحة، وفي الاتيان بالفعل المضارع أبلغ دلالة

١- راجع للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب النون ص٧٠٢، دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢- سورة الأعراف الآية (٧٩).

٣- السيد الشريف الجرجاني، شرح المواقف، ج٢، ص٢٤٥، ط الشيخ البوسبوي.

٤- الشيخ أبو جعفر ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٢، ص٥٤٦، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

علي تجديد النصح لهم، وأنه غير تاركه من أجل كراهيتهم أو بذاءاتهم[١]، ثم جاءت علي صورة اسم الفاعل باعتبار الأداء الوظيفي، وقد عبرت عن ذلك بعض الآيات القرآنية منها قوله تعالي: **﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾**[٢]، ومحل الشاهد هو وأنا لكم ناصح آمين حيث اقترن لفظ الناصح بالأمين وهو المعني المقصود.

كما جاءت علي صورة المصدر باعتبار النتائج المترتبة في قوله تعالي: **﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾**[٣]، وفي ذلك تعريض بهم وتسفيه آرائهم، حيث كرهوا ما هو نفع لهم[٤].

كذلك جاءت وصفا لعمل خالص يراد به وجه الله تعالي، وتحقيق المصلحة العليا، من ذلك قوله تعالي: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٥].

قال الشيخ الماتريدي(ت ٣٣٣هـ): "توبوا توبة تناهت في نصحها، والمبالغة في النصح أن يكون صادقا في توبته، وعلامة الصدق أن يكون نادما بقلبه عما فعل، عازما على ألا يرجع إليه، وأن يقلع يديه عما كان فيه من المعاصي، وأن يستغفر الله بلسانه؛ فيستعمل كل جسده في الندم والانقلاع، كما استعمل سائره في التلذذ بالمآثم؛ فذلك هو المبالغة في النصح[٦]، والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر

١- الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، ج٨، ص١٩٤، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

٢- سورة الأعراف الآية (٦٨).

٣- سورة الأعراف الآية (٣٤).

٤- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص٦١ .

٥- سورة التحريم الآية (٨).

٦- أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ج١٠، ص٩٢ المحقق: د/ مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٢- في لغة العرب:

جاءت كلمة نصح ومشتقاتها في لغة العرب علي معان منها : التخلص من الشوائب، والخلو من الغش بجانب الود، وحسن المشورة، والإرشاد لما فيه الصلاح ثم الصفاء.[١]

وعليه يمكنني تقديم تعريف للنصيحة علي الناحية اللغوية، وهو أنها : أمرفيه دعوة إلي صلاح، ونهي عن فساد، وعمل يراد به تحقيق الخير، ودفع الشر بما يُصلح أمر الناصح في أداء الأمانة، وأمر المنصوح في تلقيها، من حيث إن الأول يُخلص الثاني من أوجه القُصور، ويبعده عن الوقوع في العوج، ويحقق له من المصالح ما لا يقوي علي تحقيقه وحده لو ترك بدون نصيحة.

٣ - في الاصطلاح:

ذهب الفخر الرازي إلي "أن حقيقة النصح الإرسال إلي المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه"[٢] علي أي ناحية كانت، ومن ثم تتقرر بها العقيدة الالهية.

وبناء عليه يفرق علماء العقيدة بين تبليغ الرسالة، والقيام علي النصيحة، فتبليغ الرسالة، إنما هو تعريف بأنواع تكاليف الله تعالي، وبيان أقسام أوامره ونواهيه[٣]، وأما الناصح الذي يقوم بالنصيحة فعمله ترغيب في الطاعات وتحذير من المعاصي، وهذا الفرق قد أشار إليه الفخر الرازي[٤]، كما أشار إليه الكثيرون من علماء العقيدة[٥].

١- اقتبست هذا التعريف من المصادر اللغوية راجع لابن منظور لسان العرب، فصل النون ج٢، ص٦١٦، وللفيروزابادى القاموس المحيط، ج١، باب الحاء فصل النون ص٢٤٤، والمعجم الوسيط ج٢، ص٩٢٥.

٢- الفخر الرازي مفاتيح الغيب المجلد السابع، ج١٣، ص١٦٤-١٦٥ط دار الغد العربي الأولي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣- هذا من وظيفة الرسول؛ لأن الرسول في أمته يقوم بأمور ثلاثة أولها اقتلاع المعتقدات الفاسدة، ثانيها غرس المعتقدات الصحيحة، ثالثها تعليم الناس ما ينفعهم في دنياهم، ويسعدهم في آخراهم، بجانب مشاركتهم في أنماط حياتهم المختلفة، راجع للعلامة السعد التفتازاني، شرح المقاصد، ج٢، ص ١٧٣، ط محرم البوسنوى .

٤- راجع للفخر الرازي، مفاتيح الغيب المجلد، ٧ ج١٣، ص١٦٤.

٥- راجع للشيخ حسن صبري عبد الكريم، النصيحة في الإسلام، ص٣٥ ط٢ طبعة فرج الكردي مصر ١٣٢٥هـ.

وعرفها الشيخ النقلي بأنها" أمر واجب شرعاً، قائم عرفاً، يتعلق بتوجيه الفرد والغير إلي التزام ما جاء من عند الله، والتأكيد علي أن الخير فيه، مع بيان أن المترتب عليه إنما هو الصور الإيجابية لما يصلح الحياة الإنسانية"[١]. ولا يخفي أن هذا التعريف للنصيحة قد جعل الناصح ذاته منصوحاً، باعتباره فردا من أفراد الأمة، فالخير الذي يأتيها يأتيه، والشر الذي يلحقها يلحقه، وهي نظرة فيها الكثير من رعاية النصوص الدينية علي جهة الإجمال والتفصيل معاً.

كما نبه الى ذلك الشيخ علي زكريا بقوله النصيحة هي: " استخلاص الإنسان من شهواته، وسيطرته علي غرائزه، ودفعه للمشاركة الإيجابية التي جاءت بها النصوص الشرعية، بما يحقق أعلي المصالح، ويبعد المفاسد"[٢]. ومن الواضح أنه تعريف يرتب قضايا كثيرة؛ لأن استخلاص الإنسان لله تعالي أولاً شرط أساسي في تحقيق النصيحة المشروعة؛ ومتى كان هذا الفرد الواعي خالصا في أمره، فإن ما ينصح به يكون مقبولاً، ويكون تعلق النصيحة بجانبين أحدهما الأمر بالمعروف، وثانيهما التهي عن المنكر.

وإلي هذا الرأي ذهب الكثيرون من أهل العلم، والشواهد عليه من النقل المعصوم كثيرة، دليل ذلك أن الله عتب علي الذين ينصحون قبل أن ينتصحوا، فقال جل شأنه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾**[٣]، ثم إن "قاعدة الأمر بالمعروف تجيء معها قاعدة النهي عن المنكر، الأولي علي سبيل الإيجاب والأخرى علي جهة السلب، وكل منهما تتقرر بها العقيدة الإلهية وفيهما الثواب"[٤]

ذهب الشيخ النمكي إلي أن النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة تدور

١- راجع للشيخ عبد العظيم السيد حسن النقلي" الدين النصيحة" تأملات في كتاب الله، ص٥ طبعة عبد العظيم فراج وأخيه علي، توزيع مكتبة زهدي بالقاهرة ١٣٠٧هـ.

٢- الشيخ علي بن زكريا بن علي الشافعي، الدين النصيحة، ص١٣، ط٢، دار المعتصم بالقاهرة ١٣٣١هـ.

٣- سورة الصف الآيتان (٢-٣)

٤- العلامة الآمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين، المسألة التاسعة في معني الطف وحكمه، ص٦٨٩-٦٩٠، وراجع لإمام الحرمين، الإرشاد، ص ٣٠٠-٣٠١

في" إرادة الخير للمنصوح، بحيث تتحقق المصالح المشروعة، فذلك حق ورد به ظاهر الكتاب ونصوص السنة، منها حق المسلم علي المسلم ست، إذا استنصحك فانصحه، وهي بهذا الأمر واجب"[١]، ويستدل علي ما ذهب إليه بمؤمن آل فرعون، الذي جاء إليه نبي الله موسي بن عمران عليه السلام ينصحه، وقد ورد ذلك في قوله تعالي: **﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾**[٢]، وبالتالي تمكن موسي من الابتعاد عن موقع المؤامرة، ولم يتمكن أعداؤه من الوصول إليه.

ويقرر الشيخ الخولى أن النصيحة "عمل مشروع، يقوم علي صدق اليقين، المتمكن من الناصح، الذي أيقن أنه ملاقٍ رب العالمين، ولذا كانت من وظائف الأنبياء والمرسلين[٣]، لأن النصيحة عندما تؤدي سراً، وبقول لين فإنها تحدث في قلب المتلقي إغراء بالمتابعة، يدل عليه توجيه الله لنبيه موسي وهارون، حيث قال لهما: **﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾**[٤]، فقد أمرهما سبحانه بإلانة القول، لما في ذلك من التأثير في الإجابة، فإن التخشين بادئ بدء يكون أعظم أسباب النفور والتصلب في الكفر"[٥]، فهو درس عملي في الكيفية التي بها تم أداء النصيحة.

ويذهب الشيخ النسفي إلى أن "حقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في صدق العناية"[٦]، غير أن بعض تلك التعاريف التفتت إلي الغاية، وهي إرادة الخير من الوجوه المتعددة، علي أساس أن النصيحة

١- الشيخ محمد بن صالح النمكي، النصيحة في الكتاب والسنة ص٧، دار مراد، ١٣١٣هـ.

٢- سورة القصص الآية (٢٠).

٣- الشيخ منصور حسن صبري الخولي، الإسلام دين رب العالمين، ص١٠، ط١٩٢١، دار نصار بالقاهرة.

٤-.سورة طه الآيتان (٤٣-٤٤).

٥- الإمام محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، المجلد الثاني ص٨١ المكتبة العصرية جدة١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. .

٦- الشيخ أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج١، ص٥٧٦، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت١٤١٩هـ ١٩٩٨ م.

فرض علي قائلها، وتنبيه لمن يتلقاها، يدل عليه قول الرسول صلي الله عليه وسلم: " الدين النصيحة".

قال الشيخ الجرداني: "دين الإسلام النصيحة، وهى كلمة جامعة معناها حياز الحظ للمنصوح، والمعنى عماد الدين ومعظمه النصيحة، وقيل الدين محصور فيها لان من جملتها الإيمان بالله ورسوله، وطاعتهما والعمل بما قالاه وليس وراء ذلك من الدين شيء فهي جامعة له"[١]، وكأنه حصر الدين العمل يفي النصيحة.

ويمكن لي تقديم تعريف للنصيحة أراه مقتبساً من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وهو: أنها امر إيجابي، يقوم علي قواعد صحيحة من عقيدة سليمة، وأخلاق مستقيمة، يمارسه الناصح الواعي، ويتلقاها المنصوح المكلف، بما يحقق مراد الله تعالي، ويحفظ دينه، ويصون أوامره، ويحفظ من الخلق مقصودة.

ومن ثم فلها جانبان، أحدهما: نظري، وهو المتعلق بالأقوال، ثانيهما: عملي، وهو المتعلق بالتطبيقات والأفعال، وكلما كان المراد هو الوصول إلي ما يرضي وجه الله تعالي، فإن النتائج ترد علي هذا الجانب، حينئذ تتحقق السعادة الإنسانية طبقاً للأوامر والتكاليف الإلهية، بدليل قوله ﷺ(الدين النصيحة).

وما دام أمر النصيحة بهذه المثابة فقد اتضح أنها من مهام المرسلين بالدرجة الأولي، حيث يقررون بها أمور العقيدة، ثم يأتي بعدهم المتابعون لهم المؤمنون بالله تعالي معهم، ويجعلون قاعدتي الأمر بالمعروف والنهي المنكر من الجوانب التطبيقية في الدراسات العقدية وذلك أمرُ لا يخفي، وشأن لا ينسي.

اللفظ الثالث: تقرير العقيدة

ورد لفظ العقيدة في لغة العرب علي معان متعددة، كما وردت مادته في صور عديدة، يحسن الإشارة إليها في كل من اللغة والاصطلاح علي النحو التالي:

١- راجع للشيخ محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي، شرح الجرداني علي الأربعين حديث النووية، ص٦٦، ط محمد علي صبيح، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م، وللكتاب عنوان آخر "الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية".

(أ) في اللغة: من البين أن مادة الكلمة (ع-ق-د) قد وردت في لغة العرب علي معان ابرزها: - المعاهدة[١]، والتأكيد[٢]، وما يقع به الدين[٣]، وما يختفي القلب وينعقد عليه الضمير[٤]، والإحكام مع الإبرام[٥]، وحيث إن هذه المعاني اللغوية متعددة فيمكن تعريف العقيدة علي الناحية اللغوية، بأنها:

ما يعتقده المرء ويؤكد عليه، مع التزام أحكامه وتعاقداته، وما يرتبط به من تبعات والتزامات[٦]، فذلك شأن البحث في المفاهيم اللغوية.

(ب) في الاصطلاح: عرفت العقيدة الالهية بتعريفات من أبرزها:

أنها ما أنعقد عليه قلب الفرد المؤمن الواعي ما يتعلق بالله تعالي ذاتا وصفات وأفعالا، وما يجب له جل جلاله، وما يجب أن ينفي عنه سبحانه وتعالي، وما يصح أن ينسب إليه، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الأخر والقدر خيره وشره حلوه ومره[٧]، ودليلهما قوله تعالي: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**[٨]، وهذه العقيدة جاءت مع كافة الأنبياء وجميع المرسلين، وتمثل الحقائق المشتركة بين رسل الله أجمعين.

ومن ثم فهذه العقيدة لها أجزاء ستة هي:

الإيمان بالله تعالي الخالق العظيم رباً منزهاً له كل صفات الجلال والجمال

١- راجع للفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الدال، فصل العين وما يثالثهما ص٤١١.

٢- راجع للزمخشري، أساس البلاغة، باب العين فصل القاف، ص٣٦٥، طبعة القاهرة.

٣- راجع للشيخ محمد الصاوي الحنفي، من قواميس اللغة، ص٤١، ط دار القدس ١٣٣٥هـ.

٤-راجع لابن منظور، لسان العرب، باب العين ج٣، ص٨٥، ولابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب العين، ص٣٤٥.

٥- راجع لويس المعلوف، قطر المحيط باب العين، ص٣١٥-٣١٦ط بيروت.

٦- هذا مما وفقني الله تعالي إليه علي ناحية لغوية، فإذا وفق غيري لغير ما ذكرت فهو من توفيقات الله، وليحمد الله علي ما أعطاه.

٧- الشيخ محمد رزق، العقيدة الإسلامية، المجلد الثاني، ص٣٦، ط القاهرة، ١٩٥٤م.

٨- سورة البقرة الآية (٢٨٥).

والإكرام : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[١].

والإيمان بالملائكة، فهم أجسام نورانية لطيفة بأرواح أقدرهم الله علي التشكل بأشكال مختلفة في أشكال حسنة غالباً، شأنهم الطاعة ومسكنهم السماوات غالباً، ومنهم من يسكن الأرض، صادقون بما أخبروا به عن الله سبحانه وتعالي، يسبحون الليل والنهار لا ينقطعون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[٢].

والإيمان بالكتب المنزلة، وأنها من قِبل الله تعالي أُنزلت علي الأنبياء والمرسلين لتعريفهم بخالقهم العظيم، ووضع ضوابط حياتهم وما سيكونون عليه في أخرتهم، وقد أكثر العلماء من الحديث عن تلك الكتب، فذكر البعض أنها أربع ومائة كتاب ستون هي صحف نبي الله شيث وثلاثون هي صحف نبي الله إبراهيم، وعشر هي صحف نبي الله موسي الكليم، وإليها الإشارة د جاءت الإشارة بقول الله تعالي: **﴿إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾**[٣]، وقوله جل جلاله **﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾**[٤]، ثم الأربعة كتب، وهي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الكريم، وبذا تتم جملة الكتب التي أنزلت من السماء[٥].

وقد ورد الحديث عنها نظماً من ذلك قولهم:

أربعة كتب تفصيلها توراة موسي بالهدى تتزيلها
زابور داود إنجيل علي عيسي وفرقان علي خير الملا[٦]

١- سورة الروم الآية (٣٠).
٢- الشيخ محمد نووي الشافعي، نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي، ص١٦ ط الحلبي ١٩٣٦م.
٣- سورة الأعلى الآيتين (١٨-١٩).
٤- سورة النجم الآيتين (٣٦-٣٧).
٥- راجع للشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجازي الفشني، شرح الفشني علي الأربعين النووية ص٣٥
٦- راجع للشيخ أحمد المرزوقي منظومة عقيدة العوام، ص٢١ وعليه شرح الشيخ محمد نووي الشافعي ط٢ ١٩٣٦م.

الإيمان بالرسل وأنهم خير الناس خلقاً وأوفاهم خلقا، وأن الله سبحانه وتعالي اصطفاهم علي غيرهم تفضلا منه ورحمة وكرما ومحبة، وأنهم قد ميزوا بالأمانة والصدق والفطانة، وأن الله سبحانه وتعالي منع عنهم كل ما يشين[١]، ويستدلعلي هذا بقوله تعالي : **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**[٢]، وقوله تعالي: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[٣].

وأن النبوة والرسالة من منح الله سبحانه وتعالي ونعمه حتى يكون في الناس هادياً ومرشداً ومعلماً، بجانب كونه القدوة والأسوة لقوله تعالي: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[٤]

ويقرر الشيخ الأصفهاني أن هؤلاء الرسل إنما يختصهم الله بآيات ومعجزات باهرة، تدل علي أنهم من عند ربهم قد أرسلوا كما تحث علي إجابته، ونصدقه في مقولته[٥].

والحق أن الله سبحانه وتعالي متى أرسل نبيا أو كلف رسولا، فإنما ذلك من باب التفضل الإلهي إذ النبي والرسول لا يكتسب ذلك الإرسال بنوع من المجاهدة أو غيره، يقول الشيخ زاده: "لا يشترط في إرسال النبي شرط من الأحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات في الخلوات ولا استعداد ذاتي من صفاء جوهر عن الكدورات"[٦]، ولما كان الرسل بهذه المثابة فقد عصمهم الله تعالي حتى تكون ثمرتهم في الناس قائمة، وحياتهم هي القدوة التي لا مثيل لها.

١- الشيخ حمد بن علي ابن إدريس المنياوي، العقيدة الإسلامية ص١٦-١٧ ط فرج الله الكردي ١٣٣٥هـ.

٢- سورة الحج الآيتين (٧٥).

٣- سورة آل عمران الآية (٣٣).

٤- سورة الأحزاب الآية (٢١).

٥- الشيخ أبو الثناء شمس الدين ابن محمود ابن عبد الرحمن الأصفهاني، مطالع الأنظار علي طوالع الأنوار للقاضي البيضاوي ص٤١٠، وعليه حاشية السيد الشريف الجرجاني ط دار السعادة ١٣٠٥هـ.

٦- الشيخ المرعشي الشهير بساجقلي زادة، نشر الطوالع، ص٣٣١-٣٣٢ مكتبة العلوم العصرية ومطبعتها ط١ ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من موت وحياة وبرزخ، ثم البعث والنشر، ثم الحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار والنعيم والعذاب، والحور العين إلي غير ذلك مما جاء تفصيلاً، أو إجمالاً في الكتاب والسنة، وقد عني بهذا بياناً وتفصيلاً العلماء المسلمون كل علي الناحية التي أعانه الله عليها[١].

ثم الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن الأمور تجري بمقادير الله جل علاه، ولم تجر بغيرها؛ لأن القضاء حكم، والقدر إنما هو تنفيذ لما في هذا الحكم الإلهي، ولا يُسئل عما يفعل، وأفعال الله تعالي محكمة كلها، وذلك من أصل العقيدة التي يجب الإيمان بها[٢].

من ثم يمكن القول بأن العقيدة الإيمانية أجزاء وارده في النصوص الدينية، ولا يصح لأحد أن يزيد عليها أو ينقص منها، فذلك الذي جاء من عنده ويرضيه سبحانه وتعالي.

وأنوه إلي أن العقيدة غير علم العقيدة؛ لأن العقيدة قلبية، وعلم العقيدة معرفي عقلي، كما أن العقيدة لها أجزاء واردة في الكتاب والسنة أما علم العقيدة، فهو علم توافقي له قواعد وموضوع ومنهج وأتباع، ومؤلفات وفيه دراسات، وعليها الكثير من الاعتراضات، ويتمكن منه المسلم علي الناحية الدراسية، كما يتمكن منها غيره من تلك الناحية، ولذا عرف علم العقيدة بأنه: "ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، وهي الأحوال التي قام عليها وتدور علي بيان حقيقة الإيمان بالله وتوحيده، وما يجب له، وما يستحيل أن يوصف به وتسمي مباحث الإلهيات، والرسل وما يتعلق بهم، وتسمي مباحث النبوات، واليوم الآخر والملائكة والجن إلي غير ذلك من الوجوه وتسمي السمعيات[٣].

والعقيدة علي الناحية الاصطلاحية أمر يدور بين العبد وربه، تتقرر به تلك

١- راجع للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي طوالع الأنوار ص٤٤٥-٤٦٩، حيث تناول تلك المسائل من النواحي التفصيلية ويتبعه الشيخ الأصفهاني في المطالع.

٢- والشيخ محمد بن الشافعي الفضالي الشافعي، كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام، بهامش حاشية تحقيق المقام للشيخ أبراهيم الباجورى ص٦٨، ط الأخيرة مصطفي الحلبي ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م

٣-العلامة ابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، ج، ١ ص٣٣، تحقيق د. محمدالزحيلي، د. نزيه حماد ط الرياض السعودية طبعة القدس سوريا.

العلاقة علي ناحية صحيحة من التزام ذات الفرد ما جاء من عند الرب جل شأنه، ولذا كانت العقيدة الدينية القائمة في الوجدان الداخلي عبارة عن نداء علوي من الحق إلي الخلق: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[١]، كما يوصف صاحب العقيدة السليمة بأنه المؤمن الذي تهون الدنيا أمام عينيه في سبيل أن تظل عقيدته سليمة نقية، وديانته مقبولة عند الله تعالي، ولذا تتسم بالصفاء القلبي، والنقاء النفسي والارتقاء الوجداني.

ولما كان من مهام المرسلين تعريف الناس برب العالمين، وتحقيق العدالة بين جميع المخلوقين، وتقديم العبادات والطاعات لله رب العالمين فقد جاءت العقيدة الإلهية مرتبطة بالنصيحة علي ناحية تطبيقية، وهذا الرابط دلت عليه النصوص الشرعية، ومنها "الدين النصيحة" الذي يعتبر بمثابة المبدأ العام، والقاعدة الكلية.

علاقة العقيدة بالنصيحة:

ذكرت آيات القرآن الكريم أن الأنبياء والمرسلين قاموا بأمري التبليغ والرسالة، بجانب النصح لأقوامهم، وفوق ذلك التزموا قاعدتي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يدل عليه العديد من الآيات القرآنية، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يعلن في قومه أنه مرسل إليهم بدين الله عقيدة وشريعة وأخلاقا، ثم يؤكد أن دوره بجانب الإبلاغ والإرسال هو النصح والتوجيه، يدل عليه قوله تعالي: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٢]، فضم إلي الإبلاغ والقيام بأعباء الرسالة النصح المتواصل والتوجيه المستمر.

يقول الشيخ النسفي(ت ٧١٠هـ): "{أبلّغكم رسالات ربّي} ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة، والمعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنظائر، {وأنصح لكم}"[٣].

١-سورة طه الآية(١٤).

٢- سورة الأعراف الآيات(٥٩-٦٤).

٣- الشيخ أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج١، ص٥٧٦، حققه وخرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم لهم حيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت١٤١٩هـ ١٩٩٨ م.

وهذا نبي الله هود عليه السلام يعلن الأمرين معاً، فيقص علي قومه أنه جاء ليبلغهم رسالات الله إليهم، وينصح لهم، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، يدل عليه قوله تعالي: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾[١].

يقول الشيخ النيسابوري: "المراد تقرير الرسالة فإنها تدور على الأمانة، والمعني، أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه[٢].

ومعني هذا أنه لا يقتصر دوره علي الرسالة والإبلاغ والقيام بالتكاليف، إنما الأخذ بأيديهم والنصح لهم، مع رعاية الجوانب الواردة في النقل المنزل علي أساس أن دور النصيحة في تقرير العقيدة الإلهية أمر ثابت.

وبذلك تتضح العلاقة بين العقيدة والنصيحة، كما نفهم الإشارة الإعجازية الواردة في الحديث الشريف من قوله ﷺ (**الدين النصيحة**).

يقول الشيخ الجردانى: "النصيحة كلمة جامعة، وهي بالنسبة لدين الإسلام حياز الحظ للمنصوح، حيث تقوم بالنسبة لله تعالي علي الإيمان به، ونفي الشريك عنه، والإخلاص له ومع القيام بطاعته، واجتناب معصيته، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه"[٣]، وبهذا اتضح دور النصيحة في تقرير العقيدة الإيمانية، والقيام عليها، وأن المرسلين قاموا بها في أممهم، وجاء التابعون لهم على نهجهم، وقد ختموا جميعا بسيدنا محمد ﷺ وامته.

١- سورة الأعراف الآيات(٦٥-٦٩).

٢- الشيخ نظام الدين النيسابوري(ت٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج٣، ص٢٦٣، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ.

٣- الشيخ محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي، الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية المشهور بشرح الجرداني ص٦٦ ط محمد علي صبيح القاهرة ١٩٥٣م/١٣٧٢هـ.

الفصل الثاني
مصادر النصيحة وضوابطها

ذكر الإمام السعد التفتازاني أن النصيحة كانت بين واجبات المسلمين جميعا في الصدر الأول وبعده، يعلمون حظهم منها، ودورهم فيها، وما يستقر معها مما يتعلق بالعقيدة، فقال: "كان المسلمين في الصدر الأول وبعده يأمرون الولاة بالمعروف وينهوهم عن المنكر، من غير نكر من أحد، ولا توقيف علي أذن"[١] سوى ما جاء في الكتاب والسنة من أن الدين النصيحة، وبناء عليه فإني سأتناول الحديث عن مصادر النصيحة وضوابطها علي النحو التالي:

أولاً: مصادر النصيحة:

لما كان المصدر في لغة العرب هو: "ما يصدر عنه الشيء"[٢]، أصله وموارده، فالمقصود به هنا هو: القاعدة التي يحتكم إليها من ناحية ما يتعلق بمصدر النصيحة علي وجه العموم، ومن ثم عُرف المصدر عند أهل الاختصاص بأنه: "ما يصدر عنه صاحبه، بحيث يعرف به ويرتد إليه" [٣] وهو الذي تتحقق به كل معقود صحيح.

١- القرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب الله الخالد لا يغيب عنه شيء جمع فوعي، والله سبحانه وتعالي قال: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[٤]، وهو فوق ذلك "كلام الله تعالى الذى قال فيه : ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا** ﴾[٥]، قال الفخر الرازي: " اعلم ان القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، والأمراض الجسمانية، وفوق ذلك فإنه كتاب مشتمل علي دلائل المذهب الحق، وابطال المذاهب الباطلة كلها"[٦].

١- الإمام السعد التفتازاني، شرح المقاصد ج٢، ص٢٤٦، ط الحاج محرم البوسنوي.

٢-المعجم الوجيز، ص٣٦١.

٣- الدكتور محمد رمزي، مناهج البحث، ص٤١-٤٢، ط١ دار التوفيق ١٩٨٤م.

٤- سورة الأنعام الآية(٣٨).

٥- سورة الإسراء الآية(٨٢).

٦- الإمام الفخر الرازي، مفاتيح الغيب المجلد العاشر، ج١٩، ص١١٢، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٩٣م.

وهذا المصدر جاءت النصوص العديدة دالة علي طبيعته، منها قوله تعالي: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[١]، ولأن كل شيء قد ورد فيه مما يتعلق بأمور الدنيا، وأمور الآخرة، فقد دلت آياته علي المنهج الذي يجب اعتباره في قوله تعالي: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[٢].

ومن جماع هذه الآيات القرآنية يمكن القول بأن المصدر الأول للنصيحة قائم علي الكتاب الكريم، وهذا المصدر ترجع إليه كافة الضوابط الأخرى، فالقرآن الكريم "هو المعجزة الخالدة، وهو كلام الله المنزل، وهو متلو محفوظ مرسوم في المصاحف تلاه النبي ﷺعلي من في عصره، ونُقل بالتواتر الذي وقع به العلم الضروري"[٣]، ولا يجحد ذلك صاحب فكر مستقيم، وضمير سليم، وعقل عن الهوى بعيد، لكنه قد يقع على ما يصير به القول الذميم.

ومن المؤكد أن النصيحة إذا قامت على القرآن الكريم تحققت معها أعلي النتائج، ووصلت إلي أسمي الغايات؛ لأن فيها ضبطاً للعلاقة بين الناصح والمنصوح من الناحية التطبيقية، وهي في ذات الوقت الضمان الأكيد لسعادة البشرية، وما من فرد أو جماعة أخذوا بالقرآن الكريم في مجال من المجالات إلا تحققت لهم به أعلي النتائج، وأتم الغايات، فهو" كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه"[٤].

ومن ثم فمتى التزم الناصح والمنصوح الاستمساك بآيات القرآن الكريم، والتوجيهات الربانية تحققت السعادة، وتم الاستخلاف المنشود علي الناحية

١- سورة هود الآية (١).

٢- سورة المائدة الآية (٣).

٣- الإمام أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص٧، ط١، مكتبة الحلبي ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤- الإمام أبو عيسي الترمذي، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ج٥، باب ما جاء في فضل القرآن، ص٢٢، رقم الحديث[٢٩٠٦] وهو موقوف علي الإمام علي رضي الله عنه .المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م

الشرعية، والانتفاع بالقرآن الكريم يكون عند تلاوته وسماعه، يقول ابن القيم: "صاحب القلب يجمع بين قلبه، وبين معاني القرآن، فيجدها كأنها قد كتبت فيه"[١]، علي ناحية مشروعة، فلا يتصرف في أموره كلها إلا بهذا الهدى الرباني، وتقوم العقيدة الإلهية فيه مقام الرأس من الجسد.

وهذا الأصل القائم عليه ذات المصدر مما ورد الحديث الشريف بظاهره فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٢] وأول ما يحتاج النصيحة هو العقيدة الإلهية التي جاءت من عند الله تعالى، وبلغ بها الأنبياء والمرسلون من ادم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فإذا صلحت العقيدة صلح ما بعدها.

يقول الإمام النووي: " إن النصيحة لكتاب الله سبحانه وتعالي هي الإيمان بأنه كلام الله وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر علي مثله أحد من الخلق، وتعظيمه تلاوته حق تلاوته، من ناحية التحسين والخشوع، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه، لتأويل المحرفين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه[٣]، فذلك كله من النصيحة المشروعة، وأولها تقرير العقيدة الإلهية القائمة أصولها علي نصوص الكتاب والسنة.

٢- السنة النبوية المطهرة الصحيحة:

السنة النبوية الصحيحة "هي ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة حقيقة، أو حكماً، أو كان خصوصية من خصوصيات رسول

١- الإمام شمس الدين المعروف بابن القيم، الفوائد ص٢٥ تحقيق د/ ماهر منصور، د/ كمال علي الجمل دار اليقين مصر /المنصورة ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٧٤، باب أن الدين النصيحة، حديث رقم ٥٥

٣- الإمام النووي، شرح النووي علي صحيح مسلم، المجلد٢ كتاب الإيمان باب (أن الدين النصيحة)

الله ﷺ"[١].

فكل ما جاء صحيحاً عن رسول الله ﷺ، هو الذي يجب الأخذ به في النصيحة؛ لأن النصوص الشرعية قد أمرت به وأكدت عليه من ذلك قوله تعالي: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [٢]، ولما كانت العقيدة هي أول ما يتوجه إليه بالنصيحة فقد أوردت السنة المطهرة جوانبها أول ما أوردت في حديث الإيمان والإسلام[٣].

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رَسُولَ الله ﷺ: **"تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ "**[٤]، ومن ثم فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة هما المصدر الأول الذى يجب التزامه في مسائل العقيدة، وقيام النصيحة فيه على أتم الوجوه وأوفاها.

ومن المؤكد أن هذا المصدر الشريف يجعل الالتزام في النصيحة بكل ما صح عن رسول الله ﷺ، حتى لا يضل الناصح أو يشقي المنصوح، فما جاء من عند الله في كتابه وعلي لسان رسوله ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه، وهو الواجب الذى يجب اتباعه، والقانون الذى لا تصح مخالفته.

وقد نبه العلامة ابن رجب الحنبلي إلى دور النصيحة في تقرير العقيدة على ناحية صحيحة مؤكداً أن "النصيحة لرسول الله ﷺ في حياته تقوم علي

١- الشيخ محمد بن حسن بن صالح الشافعي، من أنوار السنة، ص١٣-١٤، ط١، الدار المصرية ١٣١٣هـ، وراجع للشيخ مصطفي محمد البرديسي، من هدي السنة، ص٨، دار السعادة ١٣٠٩هـ.

٢- سورة الحشر الآية(٧).

٣- أورد الإمام البخاري في صحيحه أجزاء العقيدة في قوله ﷺ الإيمان ان تؤمن بالله ...إلى اخر الحديث، واورد الإمام مسلم في صحيحه الإسلام أولا ثم باقي الحديث، وبالتالي فالعقيدة هي الأصل الثابت التي تقوم فيه النصيحة، وعماد النصيحة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الإمام مالك، موطأ مالك برواية يحيي الليثي، ج٢، ص٨٩٩، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم ١٥٩٤، تحقيق أ. محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، وأورده الشيخ الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه، ج١، ص١٣، وعزاه إلي الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس، وقال إسناده حسن.

تصديقه في رسالته، مع الإيمان بجميع ما جاء به، وبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته، وبذل المال إذا أراده، والمسارعة في محبته، وأما بعد وفاته: فالعناية بسنته والبحث عن أخلاقه، وآدابه وتعظيم أمره، ولزوم القيام به، والإعراض عمن يدين بخلاف سنته"[١]، ولما كانت الرسالة الإلهية تعنى بالعقيدة أولا ثم الشريعة والأخلاق، وقيام الجميع في قاعدة أفعل، أو لاتفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد صارت معرفة الله تعالي وطرق عبادته هي المعيار الصحيح الذي نبه إليه المصدر الإلهي

ومن المؤكد أن هذا المصدر يجعل الإنسان آمناً علي نفسه، وأهله، وماله، وولده، مطمئناً في علاقته بربه، والله سبحانه وتعالي بين ذلك بقوله: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[٢]، فالأسوة الحسنة هنا في كل ما يتعلق بأمور الدنيا والأخرة.

ولا يخفي أثر هذا المصدر في العلاقة بين الناصح والمنصوح، كما لا يخفي دوره في تفهيم الناس أصول العقيدة الإيمانية ومعالم الشريعة الإلهية، بجانب هدايتهم لما فيه صلاحهم حتى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

٣- اجتهادات العلماء العاملين:

العلماء ورثة الأنبياء، وهم أقدر الناس علي الخشية من الله، والمحبة له، يدل علي ذلك تزكية الله لهم في قوله تعالي: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾**[٣]، وقوله تعالي: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**[٤]، ولما كان العلماء العاملون بهذه المكانة، فإن إجماعهم يمثل اجتهاداً في فهم حكم شرعي، يقوم علي أدلة نقلية، فيها نوع من القياس الصحيح، بجانب الفهم الواعي، ومن هنا كان ما يصدر عنهم يعتبر أحد المصادر الأساسية، لإسداء النصيحة.

١- العلامة ابن رجب الحنبلي البغدادي، جامع العلوم والحكم، ص٧٩، دار المعرفة، بيروت لبنان ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢- سورة الأحزاب الآية (٢١).

٣- سورة فاطر الآية(٢٨).

٤- سورة المجادلة الآية(١١) .

في ذات الوقت فإن العلماء العاملين هم الأقدر علي فهم أحكام الله تعالي، وقد نبه إمام الحرمين إلي "أن الحكم الشرعي إذا استوى في ادراكه الخاص والعام ففيه للعالم، وغير العالم الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه أمر ونهي، بل الأمر فيه موكول لأهل الاجتهاد"[١] وهم العلماء العاملون، وبالتالي فتوجيه النصيحة منهم يعتبر أمراً مشروعاً، يدل عليه ما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «**حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله**»[٢]. والأمر هنا موجه إلي العلماء.

ولما كان العلماء العاملون هم الأقدر علي تفهم مراد الله تعالي بعد الأنبياء صلوات الله عليه أجمعين، فقد بات الأخذ عنهم مصدراً أساسياً، لا يجوز لذي عقل سليم الانفصال عنه، ثم إن اجتهادات العلماء العاملين لم تتم في وقت واحد، ولم يكتسبها ذلك العالم العامل إلا بتوفيق من الله تعالي، وبناءً عليه يكون ما يرد من اجتهاداتهم المشروعة مقبولاً عند الله جل علاه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ« **ما أنت بمحدث قوم حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة** »[٣].

يدل عليه ما ذكره أهل العلم من أن النصيحة لأئمة المسلمين يدخل فيها العلماء العاملون؛ لأنهم الذي يعرفون أحكام الله، وهم في ذات الوقت الذين يطبقونها، وفي الابتعاد عنهم ظلم للناصح والمنصوح معاً، بينما الأخذ عنهم يكون هو العمل المقصود شرعاً، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء"[٤]

وإذا تأملنا المؤلفات العقدية رأيناها مأخوذة من تلك المصادر تأليفا، وتجميعا، وتوظيفا، يستوى في ذلك أمرها عند تقرير العقيدة الإلهية، وعرضها، أو الدفاع عنها،

١- الإمام السعد التفتازاني، شرح المقاصد، ج٢، ص٢٤٦، وقد عزاه إلي إمام الحرمين.

٢- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ج١، ص٥٩ حديث٤٩، باب (من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا).

٣- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج١، حديث ٥٥، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

٤- الإمام ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٥، ص٢٢٥، ط وزارة المعارف النظامية بالهند.

وكل اتجاه له ما يبرره، ويؤكد عليه، لأن اجتهادات العلماء المسلمين مستمرة.

ولا يخفي أن هذه المصادر المتعلقة بالنصيحة وعلاقتها بالعقيدة يمكن أن تتعدد جزئياتها، وتتنوع إلي حد بعيد، وإنما يكتفي منها بما تبدو فيه المصلحة، ويقع به تحقيق الغاية، طبقاً لما جاءت به الشريعة الإلهية.

ثانياً: ضوابط النصيحة:

الضابط هو القاعدة العامة التي تطبق علي جزيئات كثيرة، وقد يراد به الدليل المتعلق بالحكم الشرعي، من حيث إن الدليل تنضبط به كافة الجزئيات المتشابهة من ناحية القياس، أو العلة، أو من ناحية الأثر المترتب[١]، وأمر العقيدة الإلهية هو الذي يعول عليه في هذه المسائل.

وكل ضابط تجيء معه مجموعة قواعد فرعية، أو تبعية تكون بمثابة التطبيقات العملية، أو التوجيهات المؤدية لها، والضوابط التي يجيء الحديث بصددها ترد علي كل من المصدر، والناصح والمنصوح، كما تجيء إلي الموضوع، وهذا مما يجعل الضوابط متعددة، ومن ثم فإني أقدم أبرز الضوابط تلك في مجموعات تصنيفية طبقاً لما يلي:

١- ضوابط الناصح:

الناصح هو الفرد المسلم الواعي، المدرك أعباء ما كُلف به من عقيدة وشريعة وأخلاق، فهو الذي يريد الخير للغير، ويسعي فيه، كما يحاول تذليل الصعوبات التي تواجهه بعقلية واعية، ومرونة مطلوبة، بجانب الغاية في بلوغ الهدف[٢] بما يستلزم تقرير العقيدة الإلهية، والدفاع عنها برد الشبهات الواردة عليها.

يقرر الدكتور محمد صالح "أن الناصح هو الذى يدرك أن له ضوابط بعضها يتعلق بذاته[٣]، وبعضها يرتبط بمقوماته، وبعضها يتعلق بطريقة أدائه،

١-الشيخ حسن مهنا السويفي، محاضرات في أصول الفقه، ص٢٣، ط٢، مكتبة الجماهير القاهرة.

٢- راجع د/ عبد العظيم حسن طلبة، الدين النصيحة، ص٣٧، ط القاهرة، ١٩٨٧م.

٣- ما يتعلق بذات الناصح سلامة القوى العقلية، والعقيدة الدينية، والوقوف على المصادر الصحيحة، ثم الفهم الواعي، فإذا لم تتوفر تلك الضوابط في ذاته خاب مسعاه وضل طريقه، وينطبق فيه وأمثاله قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾سورة فاطر الآية (٨)

ومن ثم تعددت ضوابط الناصح طبقاً لتعدد هذه الجوانب وتفرع أجزائها"[١]، وبمجموع تلك الضوابط تتكامل جوانب الشخصية في الناصح.

غير أني سأحاول تجميع تلك الضوابط، وانتقاء بعضها للعرض، طبقاً لما أراه يصلح في تقرير العقيدة الإلهية والدفاع عنها:

أ/ سلامة القوى والملكات:

خلق الله الإنسان علي الفطرة، ومنحه جملة من القوى المرتبطة بتلك الفطرة، ثم كساه جملة من الملكات التي تيسر له أسباب الحياة، وتعينه علي الانتظام فيها، من هذه القوى ما يتعلق بالنفس، ويسمي القوى النفسية[٢].من حيث إنها متعلقة بسلامة النفس الإنسانية التي عليها مدار التفكير والتنظيم والإدراك،

يقول د. طلبة "والملكات هي الأخرى متنوعة منها ملكة التفكير الواعي، حيث يتم استقبال المعلومات وفرزها واستخلاص ما يصلح منها واختزاله، ويدخل فيها ملكة التصور، ومن وظائفها التماس الغايات، والتعلق بالآمال، والتخلي عن وجوه القصور، والتدني والحرمان"[٣]، ومتى خلت القوى والملكات من أوجه القصور كانت متجاوزة أزمة الفروق الفردية، والقدرات العقلية[٤]، حينئذ يمكن القيام بدور مهم في تقرير العقيدة والدفاع عنها.

وكلما كانت القوى متكاملة داخل ذات الناصح فإنه يمارس واجباته علي نواحٍ متناسقة تبدو فيها إرادة الخير، ومحبة الحق، واللجوء إلي ما فيه المصلحة المشروعة، تطبيقاً لقاعدة الاستخلاف في الأرض، وتحقيقاً لمبدأ التمكين لدين الله، لأن ذلك من وظائف الأنبياء، ومهام المرسلين. ثم يأتي بعدهم العلماء العاملون.

يقول الشيخ علي فضل الله: "من المتفق عليه أنه كلما كان الإنسان سليم القوى والملكات، صحيح الاعتقاد، فإنه يسعي للاستخلاف في الأرض بما يعمر علي وجه

١- راجع د/ محمد علي صالح، النصيحة في الإسلام، ص١٠٧، ط١، مكتبة الصحابة ١٩٦٣م.

٢- هذه القوى متنوعة باعتبار الأداء من جهة، واعتبار التلاقي من جهة ثانية، ثم النظر إلي التطبيق العملي من جهة ثالثة، الدكتور السيد مرسي صالح، النفس في القرآن الكريم والسنة، ص١٤، طبعة مكتبة رزق، ١٩٨٧م.

٣- د/ محمود صالح طلبة، الوعى والإدراك، ص١٣٧، القاهرة ١٩٨٧م.

٤- د/ فؤاد أبو حطب، القدرات العقلية، ص٦٥، ط٥، القاهرة ١٩٦٤م.

مشروع، ثم يترقى من عالم الأرض إلي عالم الإلهية، فيسعي لتمكين الدين الإلهي في نفوس الناس، وبالتالي يقوم بمهام الأنبياء والمرسلين، حتى كأن العناية الإلهية كلفته القيام بهذا وذاك"[١]، والعقيدة الإلهية هي أول الواجبات التي يجب الاجتهاد في القيام عليها، ويلتزمون قاعدتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذا المعني قال الحسن ﷺ: " إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة "[٢].

وهذا الضابط لا يخص شخصاً بذاته، ولا فرد بعينه، وإنما كل من تتوفر فيه سلامة القوى، والملكات يكون قادراً علي القيام بأعباء النصيحة، وتحقيق القدر الأعلى من أهدافها علي ناحية شرعية، كما يكون مخاطباً بالنصيحة علي ناحية وجوبية.

يقول الشيخ شومان: "إن الرسول ﷺ طبق تعاليم الله في النصيحة، وحيثما قال تناصحوا، فإن هذا التعبير مفيد بذاته وجوب النصيحة، واعتبار ذلك من فروض الكفاية، وإلا وقع الفساد في الأرض، وتخريب البلاد، وإهلاك العباد، وذلك بعيد عن سنن الله الكونية؛ لأن الرسول ﷺ علم أصحابه كيف تكون النصيحة من ناحية الأداء، وضابط القائم بها من الناحية الوظيفية"[٣].وما دام الرسول ﷺ قد علم وأرشد فما بقى إلا الالتزام.

غير خافٍ أن هذا الضابط لا يقتصر علي الرجال وحدهم حتى ينتقص النساء حقوقهن، وإنما التكليف عام لكل من تتوفر فيه شروط هذا الضابط، وذلك من تعاليم الإسلام، التي حثت عليها الشريعة الإسلامية وطبقه الصحابة والتابعون، ثم جاء من بعدهم العلماء العاملون فاعتبروا ذلك الضابط قاعدة أساسية.

يقول الأستاذ علي صابر: "إن الله سبحانه وتعالي جعل النصيحة ثلث الدين وضبط القائم بها من خلال سلامة القوى والملكات"[٤]، ويستدل عليه بما

١- الشيخ علي فضل الله العجمي، الإنسان في القرآن، ص١٠٨، مكتبة المروي، ١٩٧٧م.

٢- العلامة ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص٨٠.

٣- الشيخ عبد الشكور عبد العظيم شومان، من آداب الإسلام في المعاملات الإنسانية، ص٨٧ طبعة مكتبة فرج الكردي بجوار الأزهر الشريف ١٣٣٧هـ.

٤- أ/علي صابر، التكاليف في الإسلام بين التشدد والتفريط، ص٨٩، ط١، المطبعة الخيرية بالديار الهندية ١٣٠٧هـ.

ورد في الحديث الشريف: " رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق "[١].

وما دام الاستشهاد بالحديث الشريف علي رفع التكاليف بالنسبة لمن فقدوا دعم هذه القوى والملكات، فقد بات من الضروري القول بأن وجودها في شخص ما يوجب عليه توظيفها في النصيحة ابتغاء مرضاة الله تعالي: وقد سئل ابن المبارك: "أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله"[٢]، وأوجبها العقيدة الإلهية ثم الشريعة الإسلامية والأخلاق التي ارتضاها رب البرية.

بعض الناس تتكامل فيه القوى والملكات، ولكنه قد يري أن بذل النصيحة ربما عاد عليه بما لا يحمد عقباه، فيقصر في أدائها، ويمسك عن بذلها، ويتدافع بعيداً عنها، ظناً منه أن ذلك هو الورع، ألا فليعلم أن كلذى نعمة عليها زكاة، وزكاة القوى والملكات السليمة بذل النصيحة المشروعة من خلال العلم النافع المفيد، أما حبسها فخيانة للأمانة التي أودعها الله للإنسان الواعي، ولذلك قالوا : إن الساكت علي الحق شيطان أخرس"[٣]، ونسأل الله تعالي السلامة في الدنيا والنجاة يوم لقاء الله تعالي.

ب/ التحقق بسلامة العقيدة وصحة العبادة:

صحيح العقيدة يقبل علي الله تعالي لا يري في الوجود سواه، فإذا سلمت له العبادة علي ناحية مشروعة حلق بهما في الملأ الأعلى، حينئذ ينطلق في الناس آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر حاثاً، علي الخيرات، نابذاً للشرور والسيئات، يري كل ما في الوجود من دلائل الإله المعبود، ويقوم بالنصيحة، حتى وإن لم يسأله عنها سائل، وهو في كل ما يفعل، لا يرجو سوى رضوان الله ﷻ، وأولها مسائل العقيدة لأن ذلك هو الواجب الكفائي الذى لا محيد عنه من

١- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي السنن الصغرى للنسائي، ج٦ ص١٥٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلبط٢، ١٤٠٦ــ ١٩٨٦

٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص٨٠..

٣- هذه الحكمة تجري في الناس مجري الأمثال فيكون لها مورد ومضرب، ويمكن توظيفها علي ناحية صحيحة متى خلصت النوايا، وصحت العزائم، وارتضي العقل مؤاخاة القلب حتى يبلغا معاً المأمن.

الناحية التطبيقية.

لقد برز هذا الجانب التطبيقي في حياة الصحابة رضوان الله عليهم، فكان موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة من النصيحة لله ورسوله ومن الدلائل عليه[١].فقد بان أن المسيطر عليه، الموجه له هو التحقق بسلامة العقيدة وصحة العبادة.

كذلك نصح سلمان الفارسي المسلمين في غزوة الأحزاب، وكان حفر الخندق عملاً عسكرياً رائعاً تحطمت علي حافته جحافل الظلم، وتهاوت جيوش العدوان[٢]. ودل في ذات الوقت على أن العقيدة الإلهية متمكنة منه إلى أبعد ما يكون، وهو المعني عندنا بتحقق سلامة العقيدة وصحة العبادة.

وكم أنبأت حوادث الأيام أن هذا الضابط عندما تمكن من أصحابه تلاشت المشاعر الفردية، وتعالت القيم الراقية، فقفزت الأرواح والأجسام حتى أرتها من عالم الملأ الأعلى ما قدر الله لها أن تراه[٣]، لقد انخرقت لهم العادات، وجرت علي أيديهم الكرامات، وأنجاهم الله تعالي بالمعونات، والفراسات، ودفع عنهم الأذى حتى كانوا مع قلتهم يخيفون غيرهم في كثرتهم، يقول الشيخ عبد الواحد: ولا أدل علي ذلك من أن يفتح عمرو بن العاص مصر كلها بأربعة آلاف رجل في الوقت الذي كانت الروم تتزايد حاميتهم ومنتدياتهم، وتتكاثر جيوشهم إلي الحد الذي يعجز مراقبهم عن إحصائهم[٤].

ثم إن صحة العقيدة تجعل القلب نورانياً، فيمارس دوره الوظيفي في

١- د/ محمود محمد زيادة، العرب وظهور الإسلام السيرة النبوية، ص٢١٨، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٧٤م.

٢- الشيخ محمد بن مسعود العفيفي، الفتوحات الإسلامية، ج١، عصر الرسول ﷺ ص١٠٥، ط٢ دار المحمودي، ١٣٣١هـ.

٣- هذا ما يعرف بتجلية الحواس الذى مكن لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى رأى جيوش المسلمين في بلاد فارس، وقد احاط بهم الخطر فنادى بأعلى صوته سارية الجبل، الجبل، وسمعه سارية، وتنبه للخطر، وجعل الله النصر حليفهم. الشيخ محب الدين الطبرى، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج٢، ص٨٧

٤- الشيخ إبراهيم حسن عبد الواحد، الفتوحات الإسلامية ما لها وما عليها، ص١٠٣، مكتب النبوى ١٩٧١م.

النصح والإرشاد، ولو أن صاحبه حاول منعه ربما قفز عن مكانه، ليبلغ شريعة ربه، والعقيدة الإلهية هي أعز ما يمكن تقريره والدفاع عنه.

يقول الأستاذ/ محمود فخري: " إن المراجع للتاريخ الإنساني العام يجد الصفحات الإسلامية ناصعة البياض، تمددت النصيحة فيها حتى لم يبق شيء خالياً منها، وتنامي الحب بين جنباتها، حتى حرك الأمة في أبنائها، ودفع بالنصيحة إلي ميدان التطبيق شعار الجميع: (الدين النصيحة)، وبذا حطموا الإمبراطوريتين الفارسية، والبيزنطية، وحققوا أعلى درجات النجاح في الحياة الإنسانية"[١].

وبذلك يتأكد أمام الجميع أن العقيدة السليمة تنقل صاحبها من تدني الرغبات والشهوات، وسيطرة الغرائز المتوحشة من حب المال، والتملك، والنفاق إلي حب الخير، والصراحة في القول، والنقد البناء، والنصح المفيد، "يدل عليه أنه لما التزم الأوائل بهذا وذاك فتح الله عليهم البلاد شرقاً وغرباً، ودانت لهم الأقاصي"[٢].وهو من الدلائل على سلامة العقيدة وصحة العبادة

ولا يخفي أن هذا الضابط تزول معه فوارق النوع، وفوارق المال، كما تهاوت فوارق اللون، ويبقي الميزان الدقيق يُغلب إحدى كفتيه وهو الاعتقاد الصحيح، والعبادة السليمة.

ثم إن الناصح الأمين ثروة لا تقدر بمال، ونعمة لا يغطيها إلا المدح، والشكر والامتنان، ومن ثم يتوجه صاحب العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة إلي تقرير العقيدة الإلهية بما يناسب من يتوجه إليهم، ويعمل علي تمكينها في النفوس والقلوب، ثم يتولى الجميع الدفاع عنها أمام الآخرين، "الذين يبذل لهم كل ما يتمكن منه نصحاً وتوجيهاً، حباً وإرشاداً، دفاعاً وتنبيهاً، وذلك من شأنه بث الأمن في الناس، وتوفير الأمان، ثم السعي في مصالح العباد تأكيدا علي أن

١- الأستاذ/ محمود فخري، الإسلام والحياة الاجتماعية دراسة من منظور سياسي، ص٩٧-٩٨ ط٢، مكتبة رضوان بالقاهرة، ١٩٦١م.

٢- الشيخ محمد عبد العظيم رمضان، الحياة الروحية في الإسلام ومظاهرها التطبيقية، ص٨٧ مكتبة المنتزه بالإسكندرية، ١٩٧٧م.

قاعدة وأن تناصحوا ما تزال ناصعة البياض، شديدة الحركة، قوية الأداء"[١].

ولئن كان ضابط التمسك بالعقيدة هو الميزان الأقوى فلابد أن يكون الموجه لذات الميزان ما يجيء من عند الله تعالي لا ما يجيء من أحد سواه.

ج/ العلم اليقيني:

الناصح مؤتمن، وكلما أدرك تلك المهمة فإنه يسعي لتطبيق نتائجها من خلال صور متعالية شأنه في ذلك شأن كل العقلاء، الذين تغلبهم النزعة العقلية في تحقيق المصالح الاستهدافية[٢]، ابتغاء نيل رضوان رب البرية.

يقول الشيخ نصار: " إن الناصح أنواع، ناصح بغير علم، فذلك ناصح ضال فدعوه، وناصح لا يرجو المصلحة، فذلك شيطان خالفوه، وناصح طيب القلب منعدم الخير، فذلك جاهل فوجهوه، وناصح عالم عامل يسعي لرضوان الله ويخشي أن يلاقيه بسوء ما قدمت يداه، فذاك هو الناصح العالم العامل، فتمسكوا به واتبعوه"[٣].ثم يستشهد له بما روي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ **" اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم "**[٤].

من المؤكد أن هذا الضابط يرفع عن غير المتمكن الحرج، ويمسك زمام القادرين عليه من كل ناحية، كأنه يقول لهم انعم الله عليكم بالعلم، فلم لم تنتفعوا به، ولم تقدموه لمن يرغب في الاهتداء به، فالنصيحة الخالصة لقاح العقل، وكلما قويت النصيحة قوى العقل واستنار، وذلك من منح الواحد القهار

١- الشيخ محمد متولي الطنبولي، من هدي السنة في العلاقات الإنسانية، ص١١٣، ط٢، مكتب حكمت صالح بالحوامدية، ٢٠٠٩م.

٢- المراد بالمصالح الاستهدافية ما يضعه الفرد الواعي أمامه، ويسعى على تحقيقه مستهدفا له حتى وإن لم يتحدث عنه، ولذا اعتبر الفقهاء ذلك أول القواعد الأصولية المعروفة لديهم باسم الأمور بمقاصدها. راجع في ذلك د/ عبد العزيز عزام، القواعد الفقهية، حيث عرضها وتوسع فيها.

٣- الشيخ محمود حسن نصار، النصيحة من الإيمان ص١٦ -١٧ ط أولي دار الحكمة ١٩٢٧م.

٤- الإمام أبو بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١، ص٤٣٤، كتاب العلم، باب الاقتداء بالسلف، حديث رقم ٨٥٣، وعزاه إلي الطبراني في الكبير وقال رجاله رجال الصحيح.

ثم إن العلم نور، والناصح هو الناقل لذلك النور، وكلما كان العلم يقينياً والعقل صحيحاً مستنيراً فإنه يفيض علي الكل، ويستفيد منه الكل: ﴿**ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾[١].

لست أنسي ذلك الموقف الرائع الذي قدمه سلمان الفارسي بين يدي رسول الله ﷺ حيث كان يوظف العلم اليقيني علي ناحية عملية، بدليل أنه أنشأ في المدينة المنورة المباقل، ولم يكن أهلها يعلمون شيئاً عنها، فنصح في ذلك، وقدم الخير الأوفى لأئمة المسلمين وعامتهم[٢]، وهو من دلائل العلم اليقيني الذي يجب أن يكون في رأس مال الناصح.

كما نصحهم بصناعة المنسوجات، وكان أول عمل قدمه في هذا الشأن، حتى قبل أن يتحرر من رقه، يذكر د/ محمود عبد الله صالح أن سلمان "اكتسب صناعة النسيج علي منوال، فلما سكن المدينة أقام المناسج، وعلم أبناءها حتى أغناهم عن شرائها، فقدم بذلك نصحاً يحسب في ميزان حسناته"[٣]، وبالتالي فالعلم اليقيني لا يقف عند حد بذاته، وإنما هو ميدان علم يحقق الخير للجميع.

غير خافٍ أن هذا الضابط يلزم كل فرد قادر علي النصيحة ببذلها، وتفويض الأمر إلي الله تعالي، والتأكيد علي أن ما يقوم به واجب شرعي، ومغنم رباني، إن أحسن فيه فله أجران، وإن قصر في نتائجه من غير قصد فله أجر، وبذلك فأمره يدور بين الأجر والأجرين، طبقاً لقاعدة عامة مفادها: من اجتهد فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران، يدل عليه قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر»[٤]، والحاكم هنا يمكن أن يدخل فيه الناصح الأمين.

١- سورة النساء الآية(٧٠).

٢- المباقل جمع مفرده مبقل، وهي الأرض التي تنبت البقول، ويستفيد الناس منها في أنماط الحياة المختلفة، وكان سلمان الفارسي هو صاحب النصح الأول، الذي قامت عليه الفكرة راجع د/ محمد جواد آل فقيه، سلمان سابق فارس ص١٠٧ ط ١ دار الكرنك ١٩٨٥م.

٣- د/ محمود عبد الله صالح، المسلمون الأوائل عقول تفكر وتعمر، ص٨١ ط٢، المكتب الهندسي ١٩٨١م.

٤- الإمام مسلم صحيح مسلم ج٣ ص١٣٤٢ باب [بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب]، رقم الحديث(١٧١٦).

ومن المهم القول بأن هذا الضابط يتسع فيشمل كل صاحب علم يقيني أياً كان تخصصه، ومهما كان شأنه، إذ العبرة بالغاية والنتائج، ولا يحاسب الله الناس إلا علي ما يقصدون.

د/ الرغبة في تحقيق الخير:

تحقيق الخير هو: توفير ما فيه المصلحة المشروعة، وقد يمنع من تحقيق مصلحة مشروعة قليلة دفعاً لمفسدة عظيمة كبيرة، والذي يقدر هذا وذاك هو الناصح الواعي، يدل عليه ما روي عن عروة عن عائشة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ، قال: **" لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: بابا شرقياً، وباباً غربياً، وردت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة "**[1].

من المؤكد أن إدراك المصلحة المشروعة القليلة ومقارنتها بالمفسدة الكبيرة، يحتاج إلي نوع من الحكمة والحنكة، ولا يتوفر ذلك إلا في الناصح الأمين الذي سلمت قوته، وصحت عقيدته، وطهرت سريرته، واستقامت أخلاقه، وتمكن من العلم اليقيني، وصار قادراً علي الوصول بالآخرين إلي بر الأمان المنشود، وما ذلك علي الله بعزيز.

وعليه فالناصح الذي يريد الخير يقرر العقيدة الإلهية بكل الوسائل الممكنة ويدافع عنا بقدر حبه لها، بحيث يحقق أعلى الغايات لجميع من ينصحهم حيث يبين الحق لهم، ويدلهم عليه، دون غش أو مجاملة، ويدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ولو خالف هواهم، فإذا كانت الحكمة مطلوبة عند النصح، فالحق لابد أن يبين ويعلم، خصوصاً إذا كان ذلك ممن يقدر عليه.

٢- ضوابط المنصوح:

المنصوح هو الإنسان الواعي الذي يمكنه تفهم الأحكام الشرعية، ويستطيع التعامل بها من غير ضغط عليه أو إكراه له، وبالتالي يستطيع تنفيذ ما ينصح به، ويتحمل مسئوليته أمام الله تعالي، حتى قيل "إن أعظم الناس منزلة

١- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج٢، باب نقض الكعبة وبناءها، ص٩٦٩، حديث رقم ١٣٣٣.

عند الله تعالي يوم القيامة أكثر الناس نصحاً لخلق الله وأكثرهم تقبلاً لها"[١]، فتساوى الناصح والمنصوح في حصول الأجر.

كما أن المنصوح قد يكون شخصاً عادياً، وقد يكون أميراً أو وزيراً أو سلطاناً، بحيث يدخل في عموم النصيحة الوارد في قوله صلي الله عليه وسلم: " ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٢]، ولما كان المنصوح هو الإنسان الواعي، فقد باتت هناك جملة من الضوابط تتعلق به منها: -

أ/ سلامة القوى والملكات:

من البين أن المنصوح لابد أن يكون قادراً علي تقبل ما يلقي إليه، واعتدال مزاجه حتى يؤثر فيه، وأن تكون لديه الرغبة في بلوغ الغاية المشروعة، ولذلك كان الإمام علي ﷺ يقول: اقبل نصيحة من نصحك، وتلقها بالطاعة ممن حملها إليك"[٣]، لأن ذلك واجب اسلامي، يستوى في ذلك أن يكون أمراً بمعروف، أو نهيا عن منكر.

من المؤكد أن المنصوح الواعي يمكنه إدراك ما يرتبط بالنصيحة من فوائد تتعلق بحصول النفع وثبات الود، مع التعلق بالرفق والرحمة، يدل عليه أن العلماء حينما كانوا ينصحون فانهم يوجهون كلامهم إلي المنصوحين بما يجذبهم إليهم، ويحببهم فيه، وكان المنصوحون يهيمون بهؤلاء الناصحين حباً وفرحاً.

يقول الشيخ محمد نصر الله: كلما كان المنصوح واعياً أن الناصح إنما يوجه إليه جهده وعرقه وتجاربه حتى ينقله من هموم نفسه ومشكلات حياته إلي ما يحقق مصالحه، فإنه يقبل عليه، ويلتفت إليه، ويبحث عنه، ويبلغ به الخوف عليه حد افتدائه بنفسه[٤].وهى من سمات سيطرة العقيدة الإلهية على قلب الفرد الواعي .

١- الشيخ محمد علي صالح، الآداب الإسلامية، ص٣١ ط١، مكتبة دار الرشيد ١٩٤٥م.

٢- يري البعض أن المنصوح أنواع، ويدخل في هذه الأنواع الإنسان الواعي، بغض النظر عن كونه من أئمة المسلمين أو عوام الأمة. الشيخ محمد علي جواد، النصيحة وأثرها في الحياة الإنسانية، ص١١٢، ط دار سعيد ومكتبتها، بغداد، ١٩٥٧م.

٣- الشيخ محمد نصر الدين سعيد، من الهدي الإسلامي، ص٨٥، ط٢ مطبعة الكرنك ١٩٥٧م.

٤- الشيخ محمد حسن النمرس، النصيحة من الإسلام، ص١١٣، مطبعة محمد السوهاجي ١٩٦١م.

وهكذا يكون المنصوح قد أدرك جزءاً مما يحتاجه، وقد ورد في الأثر أنه كلما كان المؤمن صحيحاً فإنه يحتاج إلي ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه[١]، وهذا الضابط كاشف عن العقلية المتوازنة التي يدرك صاحبها دوره في الحياة.

ومتي كان المنصوح منضبطاً بما سبق، فإنه يسعد بالنصيحة، ويفرح بها، ويدعو الله أن يرزق من نصحه الخير، وهذه المسألة وجدت في التراث الإسلامي وأدبياته.

ب/ حسن السمع والطاعة:

بعض الناس لا تلمس النصيحة شغاف قلبه، وإنما تظل بعيدة عنه، بُعد ما بين المشرق والمغرب، إذ يري نفسه أعلي ممن ينصح، وأكبر ممن يتوجه إليه النصح، وهذا في حد ذاته معجب بنفسه، متعالٍ علي غيره، يبخل علي نفسه، ولو كان واعياً دوره في الحياة لقال: سمعنا وأطعنا، وقد نبه القرآن الكريم إلي أن قبول النصيحة من شأن أهل الإيمان، يدل عليه قوله الله تعالي: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون**﴾[٢]. وكلما كان المنصوح قائماً علي السمع والطاعة، فإنه يكون مقبولاً عند الله، وعند الناس، أما لماذا؟ فلأن طلب النصيحة من الإيمان ولا تتم علي الوجه الصحيح إلا إذا كانت قائمة علي الإخلاص من ناحية القول، كما هي من ناحية البذل والعطاء.

يقول الشيخ النمكي: "إن المنصوح الذي يرفع لواء سمعنا وأطعنا، يدخل في نطاق قوله تعالي: ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾كما أن من يقول سمعنا وعصينا يدخل في نطاق ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٣]، والموازنة بينهما قائمة والنتيجة ظاهرة[٤]، فأصحاب العقيدة الإلهية يقولون سمعنا، وأطعنا، وغيرهم

١- الشيخ السيد علي، الإسلام دين الله للعالمين، ص٩٨-٩٩، ط١، مكتبة المهدى ١٩٥٧م.

٢- سورة النور الآية (٥١).

٣- سورة البقرة الآية (٢٧).

٤- الشيخ محمد بن منصور بن علي النمكي، النصيحة من الإيمان، ص١١-١٢ مكتب الرشد، الموصل ١٩١٦م.

يختلف شأنهم.

يدل عليه: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بينما هو قائم في مسجد النبي ﷺ وإذا رجل من دهاقين الروم قائم على رأسه وهو يقول: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فقال له عمر: ما شأنك؟ قال: أسلمت لله. قال: هل لهذا سبب! قال: نعم! إني قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيرا من كتب الأنبياء، فسمعت أسيرا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة، فعلمت أنه من عند الله فأسلمت: قال: ما هذه الآية؟ قال قوله تعالى: " ومن يطع الله" في الفرائض" ورسوله" في السنن" ويخش الله" فيما مضى من عمره" ويتقه" فيما بقي من عمره: " فأولئك هم الفائزون" والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر: قال النبي ﷺ: **(أوتيت جوامع الكلم)** [١].

من المؤكد أنه متى كان المنصوح مقيماً علي السمع والطاعة، فإنه يكون أحرص علي قبول وتنفيذ ما يلقي إليه، تطبيقاً لما ورد من قول النبي ﷺ في حجة الوداع «**نَضَر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يغل عليهن، قلب رجل مسلم: وإخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[٢].

ولا يخفي أن المنتصح كلما كان واعياً حرص علي السمع والطاعة، ونفذ تعاليم الله، فيترتب عليه سعادته في دنياه، وسعادة أكبر في أخراه.

ج/التطبيق العملي لما ينصح به:

لكل أثر مظهر، وأثر النصيحة الصادقة في المنصوح الأمين تطبيق ما نُصح به، وفي الأمثال يقولون لا تنصح مستبداً برأيه، ولا بخيلا فقد عقله؛ لأن المستبد بالرأي لا يقبل من أحد نصحه، والبخيل الذي امتلأ قلبه بحب الدنيا لا يتجه إلي الله[٣]، وفي الأثر لا يجتمع حب الله، وحب المال في قلب عبد واحد

١- الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٩٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢- العلامة الحاكم، المستدرك علي الصحيحين، ج١ ص٢٩٤.

٣- أ/ عبد السميع محمد فرج، القيم الأخلاقية وتطوراتها، ص٧١، ط ١٩٤٥م

أبداً، فإذا دخل حب الله، خرج حب المال[١]. وقد أشار القرآن الكريم إلي هذا المعني اللطيف في قوله تعالي : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[٢].

لقد ذكر التاريخ الإسلامي أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يأتون إليه حتى يسألوه ﷺ، ثم يطبقون ما نصحوا به، حينئذٍ يتحول القول إلي عمل، وتثمر النصيحة أشجار المودة، وترويها بعبير المحبة، ثم تقطف ثمارها بما هو مستهدف إلي الإنسان علي ناحية تعمير الأرض، وخلافة الله فيها.

١- الشيخ حمد علي بن سعيد عليان من هدي النبوة، ط دار الخليل، ١٩٦٧م.
٢-سورة الأحزاب الآية(٤).

الفصل الثالث

شروط النصيحة وآثارها

من البين أن كل أمر لابد فيه من مفاهيم يدور فيها وشروط تجرى معه، بجانب ما يترتب عليه، ومن ثم فإن أبرز شروط النصيحة من الناحية العقدية ما يلى: -

الأول: صحة القصد

من المعلوم ان الأمور بمقاصدها[١]وكلما كان المراد بالنصيحة وجه الله تعالى تحقق ما يتعلق بها على وجه مشروع، أما لماذا ؟ فلأن النصيحة هي الدين، ولا يكون صحيحاً إلا إذا كان قائماً علي الإيمان بالله تعالي، وما جاء من عنده، وأن يكون الباعث عليه ما يتعلق به أمر النصح في مسائل الدين والدنيا، والبعد عن التباغض، وهذا مما جاءت الإشارة إليه في قوله ﷺ«**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه**»[٢]

وهذا الشرط جامع بين كل من النصيحة، والناصح، والمنصوح، فلا يتوقف علي شيء بذاته؛ لأن النصيحة دعم للمنصوح، وزجر للناصح، إن اخله والتزام من قبل النصيحة ذاتها، ولذا قالوا من شروط النصيحة تلاقيها مع الناصح، وللنصوح في ابتغاء وجه الله[٣].

ومن البين أن كون النصيحة ابتغاء مرضاة الله يستلزم عدم إشراك أحد مع الله تعالي في تلك الغاية، لما روي أن رب العزة جل شأنه لا يقبل من أحد مشاركة في عمل يقدم إليه فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **"قال الله تعالى إني لا أتقبل الصلاة إلا ممن تواضع بها لعظمتي، ولم**

١- د/ عبد العزيز عزام، المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية، القاعدة الأولي الأمور بمقاصدها ص٥٧، مطبعة دار البيان للطباعة والنشر القاهرة ٢٠٠١م.

٢- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ج١، باب كيف كان بدء الوحي، ص٦حديث رقم١.

٣-الشيخ علي عبد العظيم، في ملكوت الله ص٨٧، ط٢ ١٩٦٣م.

يستطل على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، وأجعل له في الظلمة نورا، وفي الجهالة حلما، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة"[١].

يقول الشيخ الدمشقي: إن الله جلت عظمته لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، فمن كان متصفاً بذلك جعل الله له نوراً في الظلمة، وحلماً في الجهالة، وجعله بين الناس كالفردوس التي هي من أحاسن الجنة وأرفعها وأعلاها منزلة عند الله[٢]، وقد جاء هذا المعني في نصوص كثيرة منها ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يقول الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برئ، وهو للذي أشرك"**[٣]،

أجل إن صحة القصد تجعل النصيحة ذات أثر فعال، كما تجعل القائم بها والمتلقي لها على ناحية صحيحة، ولذا فهي ذات أثر في تقرير العقيدة الإلهية والدفاع عنها مع القيام بما تتطلبه، يقول الشيخ الدمشقي : "إذا كانت النصيحة قصد بها وجه الله تعالى صحت العقيدة، وسلمت العبادة، وحسنت الأخلاق، وذكر ما ذهب إليه العلامة الطيبي رضي الله عنه من أن النصيحة إذا كانت ابتغاء مرضاة الله خالصة له جل علاه فإنها تؤثر في المتلقي لها، وبخاصة إذا كان

١-العلامة زين العابدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية حرف الهمزة ص٣٩، ط دار المعرفة بيروت.

٢- الشيخ محمد منير الدمشقي النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية ص٤٠ ط مكتبة المعرفة بيروت.

٣- الشيخ عبد الرؤوف المناوي "الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص٨٠، حديث رقم ٥٨، وقال رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، والظواهر النقلية علي ذلك كثيرة ومتعددة وكلها دالة علي أن الإنسان إذا عمل عملاً، ولم يكن ابتغاء مرضاة الله فإنه يرد عليه، ولا يكون مقبولا منه. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) راجع هذه الأحاديث وشروحها في صحيح مسلم وابن ماجه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

التطبيق العملي من الناصح مطابقاً لمقتضي الحال"[١].

ولا يخفي أن كل عمل يقصد به وجه الله سبحانه وتعالي فإنه يترجم ما في عقله الباطن، ويؤثر في وجدان القائم به، كما يؤثر في المتلقي له، والقاعدة أنه قد جاءت الشريعة ضابطة بين العمل والنية المترتبة عليه، فإذا كانت النصيحة ابتغاء مرضاة الله، فإن المترتب عليها وقوع الناصح والمتلقي في إطار المحبة الربانية المدلول عليها بما رواه الترمذي عن معاذ ابن جبل رحمه الله من قول رب العزة: "المُتحابُّون في جلالي لهم منابر من نور، يغبُطهم النبيون، والشهداء"[٢]،

ولما كانت النصيحة بمثابة الدواء الوقائي قبل وقوع المرض، فقد أشارت آيات القرآن الكريم إليها في مواضع كثيرة، وجاءت بها الأحاديث النبوية، بحيث يكون التطبيق العملي هو النتيجة المرجوة. يدل عليه ما روي أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة»**[٣]، ومحل الشاهد ضرورة قيام صاحب الرعاية ببذل النصيحة والمتاح للمنصوحين.

البين أن شرط صحة القصد قد جاءت إليه وتحدثت عنه آيات من الذكر الحكيم تعرض جوانبه بما فيها من الإعجاز والإيجاز على لسان لقمان الحكيم وهو ينصح ولده فأبتدأ بتقرير العقيدة الإلهية، ثم حقوق الوالدين، وأكد له فيما بعد أن علم الله لا نهاية له، وأن كل ما في الكون إنما هو في قبضة الله، ثم نصحه بجملة من الآداب العامة والقواعد الثابتة وأكد له ضرورة التزام القيم الإيجابية[٤].

١- الشيخ محمد منير الدمشقي، نموذج من الأعمال الخيرية، ص٦١٥ ادارة الطباعة المنيرية.

٢- الشيخ عبد الرؤوف المناوي "الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص١١٢.

٣- الإمام الغزالي، احياء علوم الدين المجلد الثاني ص٣٤١ قال المحقق: هو من حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة، وقد اتفق عليه الشيخان بنحو من رواية الحسن عن معقل بن يسار.

٤-.القيم أنواع منها قيم إيجابية، وهي التي يترتب عليها صلاح الناس في الدنيا، ومدح المتصفين بها دنيا، وأخري كالصدق، والحق والعدل والجمال والإحسان، والثاني قيم سلبية وهي التي يترتب عليها فساد أحوال الناس واختلال أمورهم المعيشية كالكذب والخيانة والسرقة وخلف الوعد، فإن صاحبها يذم بها، ويقدح في الدنيا، ثم يعاقب عليها في الآخرة يدل عليه قوله تعالي: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** سورة الزلزلة الآيتان(٧-٨).

قال تعالي: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[١]، فلقمان ينصح ولده نصيحة من يخاف علي ولده وهو في ذات الوقت لا يبتغي سوي وجه الله عز وجل، **يقول الشيخ البروسوي: "**اذكر يا محمد لقومك قول لقمان لِابْنِهِ وهو ينصح له ويذكره بالخير فيما يرق له القلب والعظة، والموعظة لا تسوي بين من لا نعمة له، وبين المنعم، فهو ينهاه عن الشرك، ويأمره، وينصح له بالإيمان الخالص لله رب العالمين"[٢].

ثم يقول له في معرض النصح المتواصل: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٣].

يقول الإمام الفخر الرازي: "وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإنك إذا كملت أنت في نفسك بعبادة الله كمل غيرك، وفيه توجيه بأن الناصح لا يبدأ بغيره حتى يكتمل هو، فإن شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء هو أن يكملوا في أنفسهم ويكملوا في غيرهم"[٤].فمن كمل في نفسه استطاع اصلاح غيره، وقيام النصيحة في كل ما ذكر بجانب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر عند المصيبة.

أجل إن سياق القرآن الكريم أبان عن أن لقمان قد أتاه الله الحكمة تفضلاً من الله ورحمة، وهو حين ينصح ولده، إنما يزكي عن علمه، وما منحه الله من حكمة جاء ذكرها في قوله تعالي: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[٥].وذا يستوجب صحة القصد في كل من الناصح والمنصوح، حيث يتم ذلك ابتغاء مرضاة الله.

١- سورة لقمان الآية (١٣).

٢- الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان المجلد(٣) ج٢١ ص٢٠٣، ط دار الصابوني الأولي ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣- سورة لقمان الآيتين (١٧-١٩).

٤- الفخر الرازي مفاتيح الغيب المجلد الرابع ج٢٤ ص٥١١.

٥- سورة لقمان الآية (١٢).

والحكمة هي توفيق العمل بالعلم، فكل من أُتي توفيق العمل بالعلم قد أوتي الحكمة التي جاء ذكرها علي سبيل الفضل الإلهي في قوله تعالي: **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**[١]، ومحل الشاهد أن صحة القصد تستلزم ذات الجوانب من غير اختزال فيها.

ومن البين أن النصيحة إذا كانت ابتغاء مرضات الله فإن تأثيرها يكون مباشراً وقوياً ومؤثراً، أما لماذا؟ فلأنه كلما كانت العقيدة سليمة كان القائم بالنصح مخلصاً لله فيما ينصح، من حيث إن النصيحة جامعة، ومعبرة عن تمام الدين، ولا يكون الدين صحيحاً إلا إذا سلمت العقيدة، وصحت العبادة، وخلصت النوايا، يدل عليه ما ذكره الشيخ الجرداني من أن: "النصيحة لله هي الإيمان به ونفي الشريك عنه، والإخلاص له، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه"[٢]، حيث يدل ذلك كله على صحة القصد.

ولا يغربن عن ذي بال أن صحة القصد تدفع إلي القيام بالنصيحة ابتغاء مرضاة الله تعالي، وتكون في مصالح الدنيا والآخرة، يدل عليه أن المسلمين في غزوة الأحزاب أخذوا بنصيحة سلمان الفارسي الذي أشار بحفر الخندق، حتى يحول بين المشركين والوصول إلي المسلمين في المدينة المنورة، كان من نتائجها عجز الأحزاب عن غزو المدينة، وإنزال الرعب في قلوبهم، والقضاء علي بني قريظة وانعدام صوت المنافقين وانضمام عمر بن العاص وخالد بن الوليد إلي صفوف المسلمين بعد أن شرعت الحرب في وضع أوزارها[٣].

ويقرر الدكتور زيادة أن سلمان الفارسي صح منه القصد، فقدم النصيحة ابتغاء مرضاة الله "إذ كان يعرف من أساليب الحرب في بلاد فارس ما لم يكن معروفاً في بلاد العرب، وهو الذي أشار ونصح بحفر خندق حول الجزء غير الحصين من المدينة، وهذه الجهة هي التي كانت عورة المدينة، فكانت نصيحته

١- سورة البقرة الآية(٢٦٩).

٢- الشيخ محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي، الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية ص٦٦ ط محمد علي صبيح القاهرة ١٩٥٣م/١٣٧٢هـ.

٣- راجع لابن هشام سيرة النبي ص٩٦ طبعة القاهرة، والبين أن غزوة الأحزاب كانت في شوال في السنة الخامسة ولما انتهت الحرب وأسلم خالد وعمرو كان في مطالع السنة السادسة.

ابتغاء مرضاة الله دليلا علي توفيق الله وتحقيق النصر للمسلمين"[١]، وهذا شاهد على أن صحة القصد قادت سلمان الفارسي إلي ما وفق الله المسلمين وكسر شوكة المشركين.

الثاني: صحة العقيدة وسلامة العبادة:

أجل إن التاريخ الاسلامي يشهد بهذا كله، وقد وضع الإمام أبو حامد الغزالي هذا الشرط نصب عينيه وربط بين كل من صحة القصد وصحة العقيدة وسلامة العبادة مع النية الصادقة، وذلك في كتابة القواعد العشرة فقال: "النية الصادقة من غير التواء" مستدلا بقوله ﷺ وإنما لكل إمرئ ما نوى، ثم قال: والمراد بالنية عزم القلب علي إنهائها للفعل والترك للرب، وبالواقعة استمرارها علي هذه الخلة الأثيرة؛ لأن للتكرار تأثيرًا ليس لغيره، وعلامتها عدم تغير جزمه بأعراض فانية وباقية في عزمه فان العمل للحق ولابد من الحق فلا يترك ما عزم عليه للخلق"[٢].

كما يقرر الإمام الغزالي ضرورة التزام صحة العقيدة حتى يخرج الإنسان من دائرة النفاق، لما هو معروف من أن أي عمل لا يكون خالصا لله تعالى فإنه يحبط ويرد، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.

ويؤكد في ذات الوقت أن الذين ينصحون علي غير صحة العقيدة، وسلامة العبادة هم من المغرورين حتى لو كانوا من صنف العلماء، يقول الإمام الغزالي: "هناك فرقة أحكمت العلوم الشرعية والعقلية، تعمقوا فيها واشتغلوا بها، واغتروا بعلمهم، حتى ظنوا أنهم عند الله بمكان، يقبل شفاعتهم في الخلق، فهم مغرورون لأن معرفتهم وعلمهم ونصحهم لم يكن ابتغاء وجه الله، وإنما كان لوجوه الناس فضلوا من حيث ظنوا الهداية[٣]،

غير أن النصيحة إذا كانت من صحيح العقيدة، وسليم العبادة خالصة لوجه

١- د/ محمود محمد زيادة، العرب وظهور الإسلام السيرة النبوية ص٢٥٦ ط١، ١٩٧١م، ١٣٩٢هـ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

٢- الإمام أبو حامد الغزالي، القواعد العشرة ص٤٥٩، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، المكتبة التوفيقية بالقاهرة

٣-الإمام الغزالي، الكشف والتبين في غرور الخلق أجمعين ص٤٣٦ ضمن مجموعة الرسائل الإمام الغزالي ط دار الفكر بيروت.

الله تعالى فإنها تكون مقبولة، أما إذا كانت غير ذلك فأنها ترد ولا يفتح أمام أصحابها من أنوار الله ما يفتح لغيرهم.

وينبه الإمام الغزالي إلي أن هذا الشرط يحتاج علو الهمة مع الصبر، والانضباط بالعقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، ويري أن المرء العاقل الذي يقوم بالنصيحة علي هذا الجانب لابد له من علو الهمة والانضباط في خدمة الشريعة[١]ومن المؤكد أن هذا الشرط فيه اشتمال واضح لكل ما يتعلق بصحة العقيدة، وسلامة العبادة، والسير في طريق الله سبحانه وتعالى.

الثالث: الابتعاد عن التجريح

صحيح أن النصيحة أمر مشروع، لكن لابد فيها من الابتعاد عن التجريح، مع التزام وضوح العبارة، بجانب وضوح الغاية؛ لأن الإنسان إذا لم يكن لديه وعي بالمفردات المنطوقة فقد لا يحقق الجانب المرجو من النصيحة، ولذا جاءت الآداب الإسلامية لتقرر جملة من المبادئ العامة التي اعتبرها المفكر المسلم من الحقائق الأساسية، أبرزها الابتعاد عن التجريح تصريحا أو تلميحا، وكذلك عدم الإغراق في العبارات المهجورة، يدل عليه ما أخرجه الإمام مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: «**ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة**»[٢].

وهذا الشرط القائم علي الابتعاد عن التجريح مع ضرورة وضوح كل من العبارة والغاية جاءت له ظواهر كثيرة من النصوص الشرعية التي تجعل العقيدة في مأمن عن النيل منها، كما تجعل الأحكام الشرعية مطبقة بما يحقق الغاية المستهدفة، من ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن الرسول ﷺ قال : «**حدثوا الناس، بما يعرفون، أتحبون أن يكذب، الله ورسوله**»[٣].

من المؤكد أن هذا الشرط يعطى النصيحة دفعة قوية في الواقع العملي،

١- الإمام الغزالي، سر العالمين وكشف ما في الدارين ص ٤٦٠، ضمن مجموعة الرسائل ط دار الفكر بيروت.

٢- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص١١ من مقدمة الصحيح، رقم الحديث(٥) .

٣- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، ج١، ص٥٩ حديث(١٢٧) باب (من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يتميزون بهذا كله، فكانوا أصحاب مقصد واضح وعقيدة سليمة مبتعدين عن التجريح ما وسعهم كما كانوا أهل ألفة من أكثر الذين يأخذون عنهم طريقهم في التطبيق العملي، وصح فيهم الأثر القائل: "الناصح أمين، والمنصوح مؤتمن، والنصيحة تاج يتبادلانه معا"[١].

وهو منهج علمي يضع الناصح والمنصوح في مستوي تطبيقي واحد فلا الناصح يغرب في العبارة، ولا يقوم بالتجريح لمن يجهلها، ولا المنصوح يغلب عليه الحياء الكاذب فلا يسأل، وبخاصة إذا كان حديث عهد بالإسلام تغيب عنه كثير من مفرداته.

كما نبهت السنة المطهرة إلي أن الابتعاد عن التجريح المباشر وغير المباشر مع وضوح العبارة في النصيحة لا يقتصر علي شيء بذاته، وإنما يبدأ من مسائل العقيدة ذاتاً وصفات وأفعالاً فيحتاج العبارة الواضحة، والغاية المحددة، بحيث يراعي الناصح ظروف من يستقبل، رغم أنها مسائل عقدية، إذ ليس المطلوب أن يعرض العالم علي العوام المسائل المتعلقة بالذات والصفات مباشرة، فتقع لهم عمليا الإنكار والإلحاد ويترتب عليها الإهانة والسخرية.

ويقرر العلماء أن ليس مطلوبا من العوام معرفة أن الصفات عين الذات، أو زائدة عليها، أو ليست عينا ولا زائدة، فإن هذا من غوامض علم الكلام، ولا يقوم به سوى النظار أصحاب التمكن في المستوى الأعلى، يدل عليه ما رواه المقداد بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم، ويشق عليهم**»[٢].وهو عين الأدب، ورعاية ظروف المنصوحين، لأنه اذا لم يتم فهم النصيحة وقع التجريح، وهو أمر منهى عنه شرعا.

مما سلف بيانه أمكن القول بأن الابتعاد عن التجريح مع وضوح العبارة شرط أساسي في النصيحة الصادقة، وإذا قام به العلماء تحققت الغاية وبلغت النهاية؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، وقد زكاهم الله تعالي في قوله جل شأنه: ﴿**إِنَّمَا**

١- الشيخ عبد الحكيم الطنطاوي، من معالم كمال الدين، ص٤٣-٤٤، ط١، دار سعادة القاهرة ١٣٣١هـ

٢- الإمام الطبراني المعجم الأوسط، ج٨ ص١٣٥ الحديث رقم(٨١٩٦)، والإمام البيهقي شعب الإيمان ج٢ ص٢٨١، وفيها "فلا تحدثوهم بما يغرب عليهم ويشق عليهم".

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[١]

كما زكي مدادهم الذي يكتبون به مرادهم، طالما كان ذلك لتحقيق شريعة ربهم، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء[٢]، وبذا تبين أن الابتعاد عن التجريح مع وضوح العبارة من الأهمية بمكان في تحقيق النصيحة، ولابد في ذلك كله من رعاية أحكام الشريعة.

الرابع: الابتعاد عن إطلاق احكام التفسيق والتكفير:

يقرر علماء الإسلام وجوب الابتعاد بالنصيحة عن إطلاق أحكام التفسيق والتكفير، أما لماذا؟ فلأنها في الأصل دعوة إلي الله تعالى، ويجب أن تكون بالمنهج الشرعي الوارد في قوله تعالي: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[٣].

ثم إن النصح من خلال إطلاق أحكام التفسيق والتكفير إنما هو خروج علي أحكام الشريعة وإشاعة للفوضى، وتركيز علي الحروب الأهلية، أما لماذا؟ فلأن الإيمان هو الروح للإنسان منحصله وقع له الحياء، فأصبح أهلاً للتكليف أولاً، فإن نهض بالتكليف الذي هو أمر ونهي، أصبح أهلا للسعادة في الحياتين الأولي والآخرة[٤].

ويستدل علي هذا المعني بقوله تعالي: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾**[٥]، هذا الإيمان الذي يربط أهله برباط محكم صورته النصوص الشرعية كالبنيان يشد بعضه بعضاً، قال فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه**

١- سورة فاطر الآية (٢٨).

٢- الشيخ ابن حجر العسقلاني لسان الميزان ج٥ ص٢٢٥ رقم الحديث(٧٩٤) ط بيروت وذكر الكثيرون أنه ليس حديث، وإنما هو قول لأبي الدرداء .

٣- سورة النحل الآية(١٢٥).

٤- الشيخ أبو بكر جابر الجزانى، رسالة القول المبين في حكم تكفير المسلمين، ص٤١ -٤٢، وراجع للشيخ محمد علي ناصر، حكم تكفير المؤمنين، ص٤١ -٤٢ ط أولي مكتبة فهمي ١٩٨٥م.

٥- سورة النساء الآيتان(١٧٤-١٧٥).

بعضا» وشبك أصابعه[١].

هذا الإيمان القائم في أجزائه الستة الوارد ذكرها في النصوص الشرعية، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومتي سقط ركن منها بتكذيب العبد إياه، أو انكاره له وقع التكذيب على الجميع، أما لماذا فلأن الإيمان هو الطاقة النورانية إن قويت نفعت وأضاءت، وإن ضعفت، عجزت عن النفع والإضاءة، وهذا معني أن الإيمان يقوي في قلب العبد ويضعف ويزيد وينقص.

وبناء عليه فلا يستطيع أحد أن ينصح بتفسيق أو تكفير، فالإيمان عمل القلب ولا يطلع علي القلب إلا الله، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

إذاً ليس من حق أحد الزعم بإمكانية معرفة ما في القلوب والحكم عليها، أما لماذا؟ فلأن ذلك من حقوق علام الغيوب، والمؤمن الحق هو الذي آمن بالله ورسوله محمد صلي الله عليه وسلم وصدقهما في كل ما أخبرا به، ووطن نفسه لطاعتهما في كل ما أمرا به ونهيا عنه، وأعرب عن ذلك بقوله: " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا رسول الله، وحقق ذلك بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام إن استطاع إليه سبيلا[٢].

ثم إن الناصح أمين، ويجب أن يراعي حرمات المنصوحين حتى لا يقع في إغضاب رب العالمين، يدل عليه ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: **{أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم}**[٣].

ومن هنا يظهر ضرورة البعد عن إطلاق أحكام التكفير والتفسيق، ومقاومة

١- الإمام البخاري الجامع الصحيح، رقم (٤٨١)، والإمام مسلم في صحيحه رقم(٢٥٨٥) من حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه.

٢-الشيخ عبد الله حجاج، براءة علماء المسلمين من تكفير الحكام والمحكومين ص٢٠٩ ط مكتبة التراث الاسلامي القاهرة.

٣- راجع الإمام الغزالي احياء علوم الدين ج٢ ص٣٣٨ ط الحلبي تحقيق د بدوي طبانة والحديث أخرجه الإمام البخاري ج٦ ص١٢٧ باب [ونفخ في الصور] رقم(٤٨١٥).

من يطلقها أيا كان موقعه، إذ في ذلك عدوان علي معتقدات الناس، وقفز فوق ضمائرهم، وانتزاع حقوق الله تعالي، وليست لهؤلاء المدعين لها.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة من القرن العشرين وامتد إلي الربع الأول من القرن الحادي والعشرين من يلجأون إلي تكفير المخالفين لهم في الرأي تحت اسم النصيحة في الدين، بل استحلوا دماءهم وحرماتهم، وهم في كل ما فعلوا ليسوا من الناصحين، بل هم من الضالين المضلين.

يقول الشيخ محمد زكي إبراهيم: " هل نصرف هؤلاء المتنطعين فيما ابتدعوا في تكفير للمسلمين وتبديعهم وتشريكهم واستحلال حرماتهم وإخراجهم من الملة والحكم عليهم بالنار، ويعتبرون ذلك من النصيحة، كأنما هم أوصياء علي الله فيما قدر وقضي"[١]

ولا يخفي أن النصح كلما كان باللين كان القائم به مقتدياً بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة، والله سبحانه وتعالي حينما أرسل موسي وهارون إلي فرعون أمرهما أن يتعاملا معه بالقول الهادئ المبين حتى يحقق منهج أحكم الحاكمين قال تعالي: **﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾**[٢]، فالقول اللين الرشيد وسيلة بلوغ الغاية

وبذا يتحقق النصح وتتم النصيحة، ويحدث التكامل داخل العقل الواعي بين العقيدة والشريعة، والتماس أسباب الوصول للحقيقة التي هي ضالة المؤمن ينشدها أن يوجدها لا يبالي من أين جاءت.

الخامس: إقامة الدليل الصحيح:

الدليل عند علماء الاختصاص يطلقون عليه في اللغة اسم المرشد، كما يطلقون عليه ما به الارشاد، والفرق بين التعبيرين أن الأول جاء الدليل فيه متحدثاً عن نفسه بينما جاء في الثاني مبيناً وظيفته، ثم إن الدليل هو الذي يلزم

١- الشيخ محمد زكي إبراهيم، السلفية المعاصرة إلي أين ومن هم أهل السنة، ص٢٢ ط مؤسسة احياء التراث الصوفي اعتني بها وراجع أصولها محي الدين حسين الإسنوي.

٢- سورة طه الآيات(٤٢-٤٦).

من العلم به العلم بشيء آخر[١].

والدليل هنا معناه أن الذي يتوجه بالنصيحة لابد أن يكون عارفاً أبعادها، مطمئناً إلي صوابها، حريصاً علي أن تبلغ أهدافها، وكذلك الحال في المنصوح، "حينئذ يُوثق الله عري المحبة بينهما، فلا يطلب المنصوح من الناصح، دليلاً أخر نظراً لثقته فيما ينصح له، ومبني النصيحة علي الدليل تدعمه ظواهر عديدة، وقد نعت آيات القرآن الكريم علي تارك اليقين لحساب الظن، فكأنهم تنازلوا عنه، والدليل هو البرهان الذي لا يقبل الطعن عليه أبداً"[٢].

ثم إن إقامة الدليل مع الوضوح يبعد النصيحة عن سوء الظن، "ويجعل ألفاظها خالية من التفسيق والتجهيل، ويلبسها ثوب الحكمة، فلا يحدث تفرق للشمل، أو إتيان المنكر، أو العمل علي شيء يخالف ما جاءت النصيحة له"[٣]، وهذا القاسم المشترك يجمع الناصح والمنصوح في رباط واحد هو النصيحة، فكأنها "تمسك بيد كل واحد منهما حتى تسوقه إلي طاعة الله ورضوانه"[٤].

من البين أن إقامة الدليل علي ما يقوم به الناصح الأمين إنما هي حركة عقلية تقدم نتائج إيجابية، وقد جاءت النصوص الشرعية مؤكدة ضرورة إقامة الدليل بغض النظر عن القضية المعروضة، وآيات القرآن الكريم قد حفلت بهذه الجوانب في العديد من السور والآيات القرآنية من ذلك قوله تعالي: **﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٥].

١- العلامة السيد الشريف الجرجاني، التعريفات باب الدال ص٩٣ ط الحلبي ١٩٣٨م، وحقيقة الدليل ثبوت الأوسط للأصغر واندراج الأصغر تحت الأوسط، وهو أنواع منه الدليل الإقناعي والإلزامي، بجانب النقلي والعقلي والنفسي والتجريبي إلي غير ذلك من الأنواع التي تدور فيها كلمة الدليل . راجع للشيخ حسن بن علي بن حسن بن صالح بن علي الحنفي . دور الدليل في الأحكام الشرعية وأثاره العملية ص٨ المكتبة العصرية، ١٣٠٩هـ بمصر المحروسة.

٢- الأستاذ عبد السميع حسن بصل، النصيحة من الإيمان ص٩٥، مكتبة عبادة، ١٩٥٤م،

٣- الشيخ حسن صبري المناخلي، النصيحة من الإيمان ص١١ ط١، ١٩٤٣م.

٤- الشيخ كمال الدين أبو مسلم تعالوا إلي كلمة سواء ص٨٧-٨٨، مكتبة المهند، ١٩٦٧م.

٥- سورة النمل الآية(٦٤).

قال العلامة الفخر الرازي لا برهان لكم فيما تدعونه من وجود إله مع الله تعالي، وحيث لا برهان لكم فإذن أنتم مبطلون، وهذا يدل علي أنه لابد في الدعوة من برهان علي فساد التقليد، فإن قيل كيف؟ قيل لهم أمن يُبدأ الخلق ثم يعيده، وهم ينكرون الإعادة، كان الجواب أنهم يعترفون بالابتداء، ودلالة الابتداء علي الاعادة دلالة ظاهرة القوة، فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في الإنكار[١].

ثم إن إقامة الدليل في النصيحة، بجانب أنه عمل علمي واضح إلا ان له دورا تطبيقيا يجعل المتلقي للنصيحة أمناً من خداع الغير، كما يجعل القائم بالنصيحة في موضع يستطيع الدفاع عنه، وبهذا يكون أمر إقامة الدليل قد حقق أكثر من غاية، وهذا في حد ذاته مما يجعل دور النصيحة متعالياً، وآية ذلك أن العديد من الآيات القرآنية قد جعلت القابل للنصيحة والباذل لها في هذا المأمن متي توافرت الشروط

ومن الأدلة عليه أن نعيم أهل الجنة تأتي لذائذه غير متناهية، بدليل قوله تعالي: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾**[٢]، كلما أتاهم نعيم تبدل علي سبيل التشابه فضلاً من الله ونعمه، وقامت الأدلة المتعددة عليه من ذلك قوله تعالي: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[٣]

وقد تعقب الشيخ الرأي القائل بانقطاع نعيم أهل الجنة ورده وقال : " استبان لك استحالة حوادث لا أول لها"[٤]

ثم إن العقل الواعي يلتزم ضرورة النظر في الدليل عندما يتم أمر إسداء

١- الفخر الرازي مفاتيح الغيب المجلد ١٢ ج٢٣، ص٢٢٨-٢٢٩ط دار الغد العربي الأولي.

٢- سورة هود الآية(١٠٨).

٣- سورة البقرة الآية(٢٥).

٤- الشيخ أبو الحجاج يوسف بن محمد المُكلاتي، لبلب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ص٩٢، تحقيق د. فوقية حسين محمود، ط١، ١٩٧٧م توزيع دار الأنصار بالقاهرة.

النصيحة، لأن العبد متي تأمل فيما غرسه الله تعالي فيه من الحكم والمصالح أدرك أن الله سبحانه وتعالي قد أنعم عليه من العدم إلي الوجود، ومكن له في معرفة الإله الواحد الحق المعبود، ومتي تأمل هذا كله مع حسن اقتران التمام بالنعمة، وحسن اقتران الكمال بالدين أدرك أن قوله تعالي : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾**[١]، هو الاعتقاد الصواب، ودليل الإيمان الكامل

ومن ثم فالدليل في النصيحة لابد منه، ولابد من تقليبه علي وجهتيه، بحيث تتحقق عند الرجوع إليه الفوائد المترتبة عليه، حينئذ تبلغ النصيحة الحد الأوفى، وكان الصحابة رضوان الله عليهم ثم من جاء بعدهم من التابعين عندما يستدلون علي مسائل العقيدة، وغيرها إنما يلجأون إلي النصوص الشرعية الكتاب والسنة، ثم الاستفادة بما عليه علماء سلف الأمة.

وبناءً عليه حققوا من النتائج ما كان جديراً بالتقدير، وساهم في إدخال الكثيرين حوزة الإسلام، أما لماذا ؟فلما هو متقرر في الأفهام الصحيحة من أن الدين لم يترك شيئاً إلا جاء به في قواعده وأصوله وشرائعه وفصوله، ثم بينه وبلغه علي كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه.

وبإقامة الدليل يبعد عن المرء الواعي حرمة القول علي الله بغير علم، وقد جاءت الإشارة إلي هذا المنهج في قوله تعالي: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**[٢]، كما نبه شيوخنا الأجلاء إلي جملة من الحقائق، وهي أن إقامة الدليل إنما يمثل دعماً ورصداً معاً، وهو منهج الإسلام متى تم الرجوع فيه إلي الكتاب والسنة، بدليل قوله تعالي: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**[٣]، وقال مجاهد ردوه إلي كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك من الأدلة التي لا تنازع فيها، ولا يقع فيها شيء من التنازع[٤]، وهو الذى

١- سورة المائدة الآية(٣).

٢- سورة الاسراء الآية(٣٦).

٣- سورة النساء الآية(٥٩).

٤- العلامة اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج١ ص٧٣ طبعة دار الحديث.

عليه الدلائل المحررة.

يمكن القول بأن إقامة الدليل أمر مشروع في النصيحة فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بكتاب الله وسنة نبيه، وذكر قوام السنة الأصبهاني "أن علماء الأمة أخذوا بالدليل في دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف، وقرنا عن قرن إلي أن انتهوا إلي التابعين وأخذه التابعون من أصحاب الرسول ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله عن رسول الله، ولا طريق إلي معرفة ما دعا إليه رسول الله الناس من الدين، والطريق القويم إلا هذا الطريق"[١].

أخلص مما سلف إلي أن إقامة الدليل الصحيح في النصيحة منهج عملي يحقق النتائج الإيمانية، ويوفر الكثير من الجهد علي الباحثين، كما يوفر علي الناصحين والمنصوحين بما يعلي من قدر النصيحة، فيزيل التقليد الأعمى، كما يبعد الناس عن الظنون والشبهات والأوهام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

السادس: التزام الحكمة عند الطرح:

يدل عليه أن الإنسان حينما تلقي إليه النصيحة قد تؤدي به إلي تفرق الشمل، أو تدفع به إلي منكر أكبر من المعروف الذي تحمله طياتها، فإذا لم تكن تؤدي علي قدر كبير من الحكمة أفسدت ولم تصلح، فرقت ولم تجمع، ولذلك يقول العلماء: إن الحكمة عند طرح النصيحة التي يجب أن تكون مادتها الأولي هي التزام بالآداب الإسلامية، فيما يتعلق بالنصيحة والناصح والمنصوح؛ لأن الحديث الشريف جاء بقوله: (وإن تناصحوا) فكأن الكلام موجه إلي الناصح والمنصوح والنصيحة.

"ولا يخفي أنه كلما كان الباعث علي النصيحة التزام الحكمة الإلهية فإن الكل يعمل في إطار تلك المنظومة، بما يحقق أعلي النتائج الإيجابية، التي هي

١- الإمام قوام السنة أبو القاسم اسماعيل ابن محمد ابن الفضل ابن ظاهر الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة، ج٢ ص٢٢٣-٢٢٤ ط مكتبة الرياض ١٤٠٥هـ.

من مقاصد الشريعة الإسلامية"[١].

من المؤكد أن هذا الشرط قد يثير في النفس شيئاً من الجدل، نظراً لتعلقه بحفظ مقاصد الشريعة، وأعني بها حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال[٢]، ولكن هذا الجدل يزول إذا ما أدركنا التفرقة الحاسمة التي جاءت بها ظواهر النصوص الشرعية، ثم أن حفظ مقاصد الشريعة لما كانت متنوعة فهي تستوعب الناصح والنصيحة والمنصوح والثمرة المرجوة بينهم.

السابع: اختيار الوقت والوسيلة المناسبين:

لما كانت النصيحة من الدين أمراً يتعلق بتكاليف ثابتة وقيم متعالية، فقد بات من الضروري اختيار كل من الوقت والوسيلة المناسبة، وهذا مما يشترك فيه الناصح والمنصوح، فالناصح يختار ما يوصله إلي نصيحته، وهو الوسيلة دون ضغط عليه أو إكراه له، وإلا خرجت عن هذا الدور إلي غيره، يقول الشيخ المرسي: "إن الكثيرين لم يتمكنوا من اختيار الوسيلة المناسبة للنصيحة فأضلوا وضلوا، ومن الآداب الإسلامية أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان إذا عاد من سفر وقف قريبا من باب المدينة، ثم أرسل منادياً ينادي بها تعريفاً لها وللقائمين عليها"[٣].

وسار العلماء هذه المسيرة فيما يتعلق بالنصيحة، وسيلة، ووقتا، بل ناصحا ومنصوحا، يدل عليه ما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل، فقال ﷺ: **"أمهلوا حتي ليلا، أي عشاء كي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة"**[٤]

الثامن: اختيار الأسلوب المقبول المؤثر:

الأسلوب هو الطريق أو المنهج العملي الذي تبلغ به النصيحة، ومن شروط صحته أن يكون في ألفاظ تحفظ الأصول القائمة، وتدعم الأخلاق المستقيمة، وتحفظ مقصود صاحب الشريعة، ولذلك وردت آثار عديدة تحث كلها علي ضرورة اختيار الألفاظ التي لا عوج فيها ولا اضطراب، يستوي في ذلك الناصح حيث يلقي

١-الشيخ حسن عواد سليم، النصيحة حركة حياة، ص٨١-٨٢، ط دار فؤاد ١٩٤٣م.
٢-الإمام أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول ص١٣٧ طبعة القاهرة ١٩٤٧م.
٣-الشيخ السيد علي المرسى، من الآداب الإسلامية، ص١٠٣.المطبعة العصرية، ١٩٢٥م القاهرة.
٤- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج٣، حديث رقم ٧١٥، ط الحلبي

نصيحته، والمنصوح حينما يهم في وجه الناصح طالباً المزيد[١].

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتبرون اللغة المناسبة قاسماً مشتركاً بين الناصح والمنصوح، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»[٢]، فإذا صدرت النصيحة بأسلوب غير متفق عليه، فإن المنصوح يشعر بأنه محتقر ومهان فيرفض النصيحة، وقد يطأطئ رأسه، وربما قال لناصحه جزاك الله خيرا، لكنه لن يتأثر به.

ولذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتجنبون الحديث عن الشخص في النصيحة، ولا يتحدثون أبداً بالأسلوب الغريب عن العادة والإلف إلي ما يحقق المطلوب الشرعي[٣].

صحيح أن الأسلوب يجبأن لا يحمل خدشاً للحياء ولا الكبرياء، أو لا يحمل الشعور بالامتنان أو الاستهزاء، لكن صيغته وصورته قد يحملان هذا وذاك، كأن يقول الناصح لإنسان ينصحه لا فائدة في نصحه، أو أنت لا يفيد معك النصح، أو يقول المنصوح لناصحه مثلاً لا أفهم منك، أو أنك غير قادر علي توصيل النصيحة، حينئذ يتحول الأمر من المدح إلي القدح، ومن الحسن إلي القبح، وهذا مما لا ينفع في النصيحة، ولابد في الإسلام من الأسلوب الذى يتناسب مع كل منهما.

التاسع : تبادل النصيحة:

المراد بتبادل النصيحة ما يجئ علي شكل السؤال أو الجواب، فكأن أحدهما يسأل والثاني يجيب، أو أن يقوم الناصح نفسه بدور السائل والمجيب معاً، وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقوم بهذا حتى لا يجرح كبرياء أحد.

١- الشيخ شكري محمد عبد الواحد الإرهاب صناعة غير إسلامية ص٧٣ ط أولي ١٣٠٥هـ دار السعادة.

٢- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج٤ باب[تحريم ظلم المسلم] ص١٩٨٦، رقم الحديث (٢٥٦٤).

٣- الشيخ محمد علي أبو طلبة، النصيحة والشريعة والحقيقة ص٣٤-٣٥ ط مكتبة المهند ١٩٤٣م.

فمثلاً عطس أمامه رجل، فقال ابن المبارك ماذا يقول الرجل إذا عطس، فيقول الرجل: "الحمد لله"، فقال ابن المبارك: "يرحمك الله"، فقد حصلت القضية وانتهت بسلام، وأدينا الغرض، الرجل حمد الله وشمتناه[١].

يمكن القول بأن العلاقة بين الناصح والمنصوح لابد فيها من التجرد عن الهوي والتدريب علي القيام بالنصيحة حتى يؤدي دور الناصح مرة، ودور المنصوح مرة، كل فيما يمتاز به طبقا لقاعدة الفروق الفردية، ومن ثم فهو في دور الناصح يمثل العالم صاحب المنهج، وفي دور المنصوح يمثل المتعلم صاحب الطريقة المثلي، ولو طبق هذا لتحول المجتمع المسلم إلي صورة أقرب إلي الملائكية، منها إلي البشرية، المفعمة بالغرائز والشهوات الإنسانية.

لست أعتقد أن النصيحة تقف عند حد أمر من الأمور، وإنما هي ممتدة في الوعي الإنساني علي كافة النواحي، ولذلك إذا لم تحقق النصيحة ما يترتب عليها، فلابد من إعادة النظر في الدور الذي قامت به، في الناصح والمنصوح؛ لأن بعض الناصحين لا يكون لديه الأسلوب الصحيح، ولا طريقة عملية، كما أن بعض المنصوحين قد يخضع لهواه، كما قد تفرض إرادته عليه وميوله الشخصية.

ومن هنا كانت الضرورة إلي النصيحة حتى تلتئم الفوارق البعيدة، وتلتقي علي حقيقة واحدة نطق بها الحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم في قوله الشريف: (الدين النصيحة).

١-الشيخ علي منصور السعدني، من آداب الإسلام ص٨٧، وراجع للشيخ محمد عبد العظيم السرجاني من هدي النبوة ص٤٤-٤٥، وكان عبد الله بن المبارك من الزاهدين العلماء العاملين يمكن أن يؤخذ من قوله المنهج التربوي في الحياة، وتحقيق أهداف عليا تأتي علي هذا الجانب.

الخاتمة

المعلوم لدي ذوي الاختصاص، أن الخاتمة تلخيص لأهم نتائج البحث، التي لم تذكر في المقدمات، بجانب التوصيات التي ينفرد بها البحث، ثم المقترحات التي تمثل لدي الكثيرين رؤوس موضوعات تحتاج إلي دراسات مستقلة.

أولاً : أهم النتائج:

١- أن النصيحة عمل فردي، قلبي، يتمدد في العقل الواعي، ويستمد وجوده من الفطرة ويسعي لتحقيق أهدافه علي أرض الواقع، بما يحقق المصالح المشتركة، ولا يفرق بين ذكر وأنثي، أجير أو وزير، ساكن القصور، أو ساكن القبور، الكل في دور الفطرة سواء، هذا مما يؤكد أن تطبيق النصيحة علي الوجه المشروع من الدين الحنيف أو هي الدين ذاته.

٢- أن النصيحة متنوعة في موضوعاتها، بدليل ورود الحديث الشريف بهذه الموضوعات يقول الرسول ﷺ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المؤمنين، وعامتهم، فقد صحت الموضوعات مما يتعلق بالله وكتابه ورسوله، إلي جانب ما يتعلق بأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك من شأنه توسيع دائرة تلاقي أفراد الأمة في القيام بالدور الواجب المشروع.

٣- أن مجالات النصيحة من الناحية التطبيقية وضوابطها هي الأخرى متعددة، وحبذا لو تم الحديث عن المجالات والضوابط علي ناحية تفصيلية في مؤلفات مستقلة، ففي ذلك منفعة كبري، ونصيحة عظمي، وسير إلي الملأ الأعلى.

٤- أن هناك علاقة ترابطية بين الناصح والمنصوح، وتسمي علاقة إلتزامية؛ فإذا لم يوجد ناصح لم يكن هناك منصوح، وبالتالي فكل منهما يستمد وضعه من وجود الأخر.

٥- أن النصيحة لها أركان تمثل الثوابت الأساسية، وعليها تعديلات من الناحية الإطارية، ولو أمكن وضع جملة من المؤلفات تخص ذلك الموضوع بالدراسة الشاملة، لكان تحقيقاً لمبدأ النصيحة في الواقع

العملي.

٦- أن التعدد في ضوابط النصيحة لا يترتب عليه اعتبار كل منهما مستقلاً بذاته، وإنما هي متكاملة متلاقية في جذورها، وهذا التلاقي في الأصول يجيء معه إشارة إلي إمكانية أن يسود في العالم الخير، أما إذا سيطر الشر فإن النصيحة لن تجدى.

ثانياً: أهم التوصيات:

تعتبر التوصيات بمثابة القرارات الكاشفة عن أوجه القصور، في تناول موضوع بذاته، بحيث تكون التوصيات هي الملاذ الآمن للمعالجة، ومن ثم فإني أقدم التوصيات التالية: -

١- إعادة النظر في ما قام به العلماء عند شرحهم لأحاديث النصيحة؛ لأن اللغة التي كتبت بها تلك الشروح كانت تناسب العصر الذي ظهرت فيه، أما ونحن ننادي كما ينادي غيرنا بتجديد الخطاب الديني، فلا مانع من إعادة النظر في تلك الشروح، بما يحقق مقصود صاحب الشريعة من الخلق.

٢- الاهتمام بتدريس النصيحة في كافة مراحل التعليم، حتى وإن أدي ذلك إلي جعلها في منهج مستقل بذاته، يتم تناول جزئياته من خلال سنوات الدراسة كل فيما يختص به.

٣- عرض صور ونماذج تطبيقية واقعية، نمت في العصور الماضية، مع بيان أثر النصيحة ودورها في التغيير إلي الأفضل.

وأسأل الله العلي العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء أن يعيننا علي القيام بحق النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن يعاملنا بفضله، إنه علي كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر

هنا ملاحظة وهي أنني سأكتفي بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، أما باقي التوثيق فموجود بهوامش الصفحات.

١- القرآن الكريم
٢- إبراهيم- الشيخ محمد زكي، السلفية المعاصرة إلي أين ومن هم أهل السنة.
٣- ابن فارس– أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة.
٤- ابن منظور-محمد بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب
٥- أبو حطب- د/ فؤاد، القدرات العقلية،
٦- أبو مسلم- الشيخ كمال الدين تعالوا إلي كلمة سواء
٧- الأصبهاني- الإمامأبو القاسم اسماعيل، الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة
٨- الأصفهاني - الشيخ أبو الثناء شمس الدين، مطالع الأنظار علي طوالع الأنوار للقاضي البيضاوي.
٩- الآمدي – العلامة سيف الدين، أبكار الأفكار في أصول الدين.
١٠- الباقلاني-الإمام أبوبكر، إعجاز القرآن.
١١- البخاري- الإمام اسماعيل، الجامع الصحيح.
١٢- البروسوي- الشيخ إسماعيل حقي، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان.
١٣- بصل- الأستاذ عبد السميع حسن، النصيحة من الإيمان
١٤- البغدادي - العلامة ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم.
١٥- ابن عاشور - الشيخ محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير.
١٦- البيضاوي - القاضي عبد الله بن عمر طوالع الأنوار .
١٧- الترمذي- الإمام أبو عيسي، الجامع الكبير، سنن الترمذي.
١٨- التفتازاني- العلامة السعد، شرح المقاصد.
١٩- الجرجاني- السيد الشريف، شرح المواقف في علم الكلام.
٢٠- الجرداني -الشيخ محمد بن عبد الله الدمياطي، شرح الجرداني علي الأربعين حديث النووية.
٢١- الجزائى- الشيخ أبو بكر جابر، رسالة القول المبين في حكم تكفير

المسلمين.
٢٢- الجويني- أبو المعالي عبد الملك، الإرشاد.
٢٣- الحاكم – الإمام أبو عبد الله محمد، المستدرك علي الصحيحين.
٢٤- حجاج - الشيخ عبد الله، براءة علماء المسلمين من تكفير الحكام والمحكومين.
٢٥- الحنبلي- العلامة ابن النجار، شرح الكوكب المنير.
٢٦- الحنبلي - العلامة ابن رجب، جامع العلوم والحكم.
٢٧- الخولي- الشيخ منصور حسن صبري، الإسلام دين رب العالمين.
٢٨- الدمشقي - الشيخ محمد منير، النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية.
٢٩- الرازي -الامام فخر الدين، مفاتيح الغيب
٣٠- رزق- الشيخ محمد، العقيدة الإسلامية.
٣١- رمزي- الدكتور محمد، مناهج البحث.
٣٢- رمضان- الشيخ محمد عبد العظيم، الحياة الروحية في الإسلام ومظاهرها التطبيقية.
٣٣- الزمخشري–أبو القاسم محمود بن عمرو، أساس البلاغة.
٣٤- زيادة - د/ محمود محمد، العرب وظهور الإسلام السيرة النبوية
٣٥- السعدني - الشيخ علي منصور، من آداب الإسلام
٣٦- سعيد - الشيخ محمد نصر الدين، من الهدي الإسلامي.
٣٧- سليم - الشيخ حسن عواد، النصيحة حركة حياة.
٣٨- السويفي- الشيخ حسن مهنا، محاضرات في أصول الفقه،
٣٩- الشاطبي- الشيخ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الاعتصام.
٤٠- الشاطبي- الشيخ إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الشريعة.
٤١- الشافعي- الشيخ علي بن زكريا بن علي، الدين النصيحة.
٤٢- الشافعي - الشيخ محمد بن حسن بن صالح، من أنوار السنة.
٤٣- البرديسي- الشيخ مصطفي محمد، من هدي السنة.
٤٤- الشوكاني- الإمام محمد بن علي، فتح القدير.
٤٥- شومان - الشيخ عبد الشكور، من آداب الإسلام في المعاملات الإنسانية.
٤٦- صابر - أ/علي، التكاليف في الإسلام بين التشدد والتفريط.

٤٧- صالح - د/ محمد علي، النصيحة في الإسلام.
٤٨- صالح- د/ محمود عبد الله، المسلمون الأوائل عقول تفكر وتعمر.
٤٩- الصاوي - الشيخ محمد الحنفي، من قواميس اللغة.
٥٠- الطبراني – الشيخ سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط.
٥١- الطبري- الشيخ أبو جعفر ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن.
٥٢- طلبة - د/ عبد العظيم حسن، الدين النصيحة.
٥٣- طلبة - د/ محمود صالح، الوعى والإدراك.
٥٤- الطنبولي - الشيخ محمد متولي، من هدي السنة في العلاقات الإنسانية.
٥٥- الطنطاوي - الشيخ عبد الحكيم، من معالم كمال الدين.
٥٦- عبد الباقي- أ/ محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٥٧- عبد الكريم - الشيخحسن صبري، النصيحة في الإسلام.
٥٨- عبد الواحد - الشيخ إبراهيم حسن، الفتوحات الإسلامية ما لها وما عليها.
٥٩- عبد الواحد - الشيخ شكري محمد، الإرهاب صناعة غير إسلامية.
٦٠- العجمي - الشيخ علي فضل الله، الإنسان في القرآن.
٦١- عزام - د/ عبد العزيز، المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية.
٦٢- العسقلاني - الإمام ابن حجر، لسان الميزان.
٦٣- عبد العظيم - الشيخ علي، في ملكوت الله.
٦٤- العفيفي - الشيخ محمد بن مسعود، الفتوحات الإسلامية.
٦٥- علي- الشيخ السيد، الإسلام دين الله للعالمين.
٦٦- عليان - الشيخ محمد علي بن سعيد، من هدي النبوة.
٦٧- الغزالي - الإمام ابو حامد، سر العالمين وكشف ما في الدارين.
٦٨- الغزالي - الإمام أبو حامد، القواعد العشرة .
٦٩- الغزالي - الإمام أبو حامد، المستصفى في علم الأصول.
٧٠- الغزالي - الإمام أبو حامد، احياء علوم الدين المجلد الثاني.
٧١- الغزالي - الإمام ابو حامد، الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين.
٧٢- فخري - ا/ محمود، الإسلام والحياة الاجتماعية دراسة من منظور سياسي.
٧٣- فرج - أ/ عبد السميع محمد، القيم الأخلاقية وتطوراتها.
٧٤- الفشني - الشيخ شهاب الدين أحمد، شرح الفشني علي الأربعين النووية.

٧٥- الفضالي- الشيخ محمد بن الشافعي، كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام.
٧٦- الفيروزابادى – الإمام مجد الدين، القاموس المحيط.
٧٧- القرطبي- الإمام أبو عبدالله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن.
٧٨- ابن هشام - العلامة أبي محمد عبد الله، السيرة النبوية.
٧٩- اللالكائي–العلامة الحسن بن منصور، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة
٨٠- الماتريدي- أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة).
٨١- مالك – الإمام بن أنس، موطأ الإمام مالك.
٨٢- المرزوقي - الشيخ السيد أحمد، منظومة عقيدة العوام .
٨٣- المرسى - الشيخ السيد علي، من الآداب الإسلامية.
٨٤- المرعشي- الشيخ محمد بن أي بكر الشهير بساجقلي زادة، نشر الطوالع .
٨٥- النيسابورى - الإمام مسلم بن الحجاج ابو الحسين، صحيح مسلم.
٨٦- المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية.
٨٧- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية.
٨٨- المعلوف - لويس، قطر المحيط.
٨٩- المُكلاتي-الشيخ أبو الحجاج، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول.
٩٠- المناخلي- الشيخ حسن صبري، النصيحة من الإيمان.
٩١- المناوي - العلامة زين العابدين، الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية.
٩٢- المنياوي - الشيخ محمد بن علي ابن إدريس، العقيدة الإسلامية .
٩٣- النسائي - أبو عبد الرحمن أحمد الخراساني، السنن الصغرى.
٩٤- النسفي -الشيخ أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
٩٥- نصار - الشيخ محمود حسن، النصيحة من الدين.
٩٦- النقلي - الشيخ عبد العظيم السيد حسن، الدين النصيحة تأملات في كتاب الله.
٩٧- النمرسي- الشيخ محمد حسن، النصيحة من الإسلام.
٩٨- النمكي- الشيخ محمد بن صالح، النصيحة في الكتاب والسنة .
٩٩- النمكي- الشيخ محمد بن منصور بن علي، النصيحة من الإيمان.

١٠٠- نووي- الشيخ محمد الشافعي، نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام .
١٠١- النووي - الإمام يحي بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.
١٠٢- النيسابوري- الشيخ نظام الدين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان.
١٠٣- الهيثمي - الإمام أبو بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
تم بحمد الله

فهرس الموضوعات

مسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	**مقدمة**	٣٦٠
٢	**الفصل الأول (تحديد المفاهيم)**	٣٦٦
٣	اللفظ الأول: أثـــر	٣٦٦
٤	اللفظ الثاني: النصيحـــة	٣٦٧
٥	اللفظ الثالث: العقيـــدة	٣٧٣
٦	علاقة العقيدة بالنصيحة	٣٧٨
٧	**الفصل الثاني (مصادر النصيحة وضوابطها)**	٣٨٠
٨	أولا: مصـادر النصيحـة	٣٨٠
٩	١- القرآن الكريم	٣٨٠
١٠	٢- السنة النبوية المطهرة الصحيحة	٣٨٢
١١	٣- اجتهادات العلماء العاملين	٣٨٤
١٢	ثانيا: ضوابط النصيحة	٣٨٦
١٣	١- ضوابط الناصح	٣٨٦
١٤	٢- ضوابط المنصوح	٣٩٤
١٥	**الفصل الثالث (شروط النصيحة وآثارها)**	٣٩٩
١٦	**الخاتمة**	٤١٧
١٧	**فهرس المصادر**	٤١٩
١٨	**الفهرس العام**	٤٢٤